

# انتشار الخط العربي

في العالم الشرقي  
والعالم الغربي

عبد الفتاح عبادة



# انتشار الخط العربي

في العالم الشرقي والعالم الغربي

تأليف

عبد الفتاح عبادة



الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إن مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: يوسف غازي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٦٢٣ ١

صدر هذا الكتاب عام ١٩١٥.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرخصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المَصْنَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

## المحتويات

|     |                                                         |
|-----|---------------------------------------------------------|
| ٩   | تقدمة الكتاب                                            |
| ١١  | فاتحة الكتاب                                            |
| ١٣  | ١- فذلَكة في تاريخ الخط العربي                          |
| ٢٩  | ٢- الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي |
| ٨٩  | ٣- الأديان ومحافظة الأمم على الخطوط                     |
| ٩٥  | ٤- الخطوط التي ورثها الخط العربي                        |
| ١٠١ | الخلاصة                                                 |
| ١٠٣ | المصادر                                                 |



هو كتاب علمي تاريخي اجتماعي  
مزين بالخرط والرسوم  
يبحث في تاريخ الخط العربي قبل الإسلام وبعده  
وانتشاره في أنحاء العالم وذكر اللغات التي تكتب به  
والكلام عليها وعلى الممالك والأقطار التي انتشر  
فيها بالتفصيل وأسباب الانتشار وعلاقة الأديان  
بمحافظة الأمم على الخطوط وما ورثه  
الخط العربي منها وتأثير الحضارة  
الإسلامية في كل ذلك.



## صاحب العظمة مولانا



السلطان الكامل حسين بن إسماعيل سلطان مصر والسودان. [١٨١ ١٢٢ ١٢٨ ٥٢ ٢١٢  
١٥٠ ٣٣٠ ١٥٨]. (سنة ١٣٣٣ هجرية). هذا التاريخ لصاحب المعالي الأستاذ الجليل محمود  
شكري باشا رئيس الديوان العالي السلطاني.



## تقدمة الكتاب

بإذن خاص

إلى صاحب العظمة والجلال، مولانا السلطان الكامل، حسين الأول، سلطان مصر والسودان. مولاي، هذا باكورة أعمالي، ويكرُّ أفكاري، أقدمه لعظمتكم مزيَّناً برسمكم الكريم، ومصدراً باسمكم العظيم، تيمُّناً بهذا الحكم السلطاني الجديد، وتذكّراً لجلوسكم السعيد على عرش صلاح الدين، وأبيكم إبراهيم وإسماعيل، في وادي النيل. أقدمه لعظمتكم إشعاراً بجميل عنايتكم التي شملتُموني بها، وإعجاباً بمآثركم الحسان في إنهاض العلم النافع، ورفع منار الأدب، وإحياء حضارة العرب، وتشجيع العلماء، وتنشيط الأدباء.

فقياماً بواجب شكر آلائكم، وحمد نعمائكم، أرفعه إلى أعتابكم السَّنية، محمولاً بما تميَّزتْ به ذاتُكم الكريمة، من الأريحية العالية، والميل الشريف إلى تعضيد المشروعات الأدبية، والأعمال العلمية، والأخذ بناصر العلوم، وإحلالها مكاناً علياً بين العموم، ملتمساً أن يتنازل مولاي ويشمَله بالقبول، وهذا غاية المأمول.

عبدكم الخاضع

عبد الفتاح عبادة



## فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربنا العلي، والصلاة والسلام على نبيِّنا الأمي، وعلى آله وأصحابه الكاتبين بالخط العربي، «وبعد»؛ فهذا كتابٌ صغيرٌ، ضَمَّنْتُه نتائجُ تعبٍ كثير، وخلاصةُ بحثٍ غزير، في انتشار الخط العربي بين الأمم الإسلامية وغيرها في أنحاء العالم، وذكُر لغاتها التي تكتب به، والكلام عليها، وعلى الممالك والأقطار التي انتشر فيها بالتفصيل، إلى غير هذا مما يرتبط بالموضوع، مع فذلِّكة في أوَّلِهِ في تاريخ الخط العربي قبل الإسلام وبعده.

فيتبيَّن منه — على صِغَرِ حجْمِهِ — مبلغُ حضارة الإسلام ومدنيته، وتأثيره الذي لا يُمحَى في العالم الإسلامي، فإنه أوجد رابطة الخط العربي التي هي من أعظم الروابط بين هذه الأمم وأكثرها انتشارًا.

ومما حدَا بي إلى البحث في هذا الموضوع أنه جديد في لغتنا العربية، بل وفي غيرها من اللغات الإفرنجية، فلم يُولَف فيه للآن كتابٌ ولا رسالة، بل لم أر فيه كلمةً أو مقالة، وقد أخذتُ في تأليفه، وأنا أعلم أهمية موضوعه، وافتقار اللغة العربية إلى أمثاله، فرأيتُ مباحثه مشتتةً في بطون الكتب الإفرنجية والعربية، فجمعتُ شملها بعد أبحاثٍ شتَّى، ومطالعات عديدة، كابدتُ فيها عناءً ليس باليسير، يعرفه مَنْ اطَّلَعَ عليه أو اشتغل بشيء من هذا القَبيل. هذا، وقد حَلَيْتُهُ بفوائد علمية، وحواشٍ تاريخية جغرافية، مما يدخل في دائرة بحثه؛ ليكون المُطَّلِع عليه في غنى عن الرجوع إلى غيره، مما يجعله أهلاً للقبول عند الناطقين بالضاد في جميع البلاد.

وقد التزمتُ أَنْ أنصَّ على مِظَانِ النُّقْلِ في مواضع الحاجة، وإنِّي أوْمَلُ أَنْ يكون لكتابي هذا نصيب وافر في استفادة القارئ والباحث، فينال من الخطوة والإقبال ما هو خَلِيقُ به،

وَأَتَقَدَّمُ إِلَى رِجَالِ الْفَضْلِ أَنْ يَتَّخِذُوا مَا يَرُوقُ لَدَيْهِمْ مِنْهُ، شَافِعًا لِي فِيمَا تَقِفُ عَلَيْهِ فِكْرَتَهُمْ مِنْ الزَّلَلِ، فَإِنْ فِي وُجُوهٍ مَوْضُوعِهِ وَحْدَانَتُهُ فِي عَالَمِ التَّأْلِيفِ، مَعَ قِصُورِي فِي هَذَا الشَّأْنِ، تَمْهِيدًا لِلْعُذْرِ عَلَى مَا يَشُوبُهُ مِنَ النُّقْصِ، فَمَا الْعِصْمَةُ وَالْكَمَالُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ.  
فَأَرْجُو أَنْ تُصَافِفَ خِدْمَتِي هَذِهِ قَبُولًا وَإِقْبَالًا، أَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ وَالْهُدَايَةَ، وَحَسَنَ الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ، فَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ.

عبد الفتاح عبادة

## الفصل الأول

# فَذَلِكَةُ فِي تَارِيخِ الْخَطِّ الْعَرَبِيِّ

### (١) العرب والكتابة قبل الإسلام

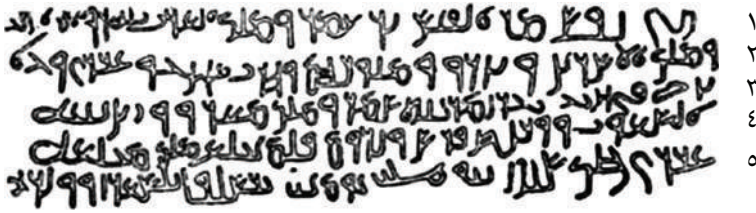
الخط من الصناعات المدنية التي تَقَوَّى وتَضَعُفُ بقوة الحضارة وضعفها، والعرب — ونخصُّ بالذِّكْر منهم أهل الحجاز — كانوا قبل الإسلام أُمَّةً بدويَّةً، لا تقتضي معيشتهم انتشار الكتابة والقراءة، وليس في آثارهم بالحجاز ما يدل على أنهم كانوا يعرفون الكتابة والقراءة إلا قُبَيْلَ الإسلام، مع أنهم كانوا محاطين شمالاً وجنوباً بأمم مُمدَّنة من العرب خَلَفُوا نقوشاً كتابية كثيرة، وأشهر تلك الأُمم الأنباط في الشمال، كتبوا بالحرف النَّبْطِي، وَجَمَيْر في اليمن، كتبوا بالحرف المُسَنَد، فلم يوجد فيهم مَنْ يقرأ ويكتب إلا بعد أن رحل بعضهم إلى بلاد الشام أو العراق، وتخلَّق بأخلاق الحضرة، فاقْتَبَس منهم الكتابة، وعاد وهو يكتب العربية بالخط النبطي (شكل ١-١) أو السرياني اللَّذَيْن تولَّد منهما الخط العربي.

### (١-١) أصل الخط العربي

من المحقِّق أنَّ أقدمَ أشكال الخط العربي: الشكل النَّسخي والشكل الكوفي؛ فأولُّهما: متخلف عن الخط النبطي (شكل ١-١)

وقد تعلَّمه العرب من الأنباط في حوران أثناء رحلاتهم إلى الشام. وثانيهما: متخلف عن الخط السطرنجيلي السرياني، تعلَّمه العرب من العراق قبل الهجرة بقليل، وكان يُعرَف (أي الخط الكوفي: شكل ١-٣) قبل الإسلام «بالْحِيرِي» نسبة إلى الحيرة، وهي مدينة عرب العراق قبل الإسلام التي ابْتَنَى المسلمون الكوفة بجوارها. فهذان الخطان هما أصلاً الخط

## انتشار الخط العربي



شكل ١-١: الخط النَّبْطِي. كتابة عربية بخط نبطي، وُجدت على قبر امرئ القيس، وتُقرأ هكذا: «(١) تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج. (٢) وملك الأسدِين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجاء. (٣) بزجو في حيج نجران مدينة شمرو وملك معدو ونزل بنيهِ. (٤) الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه. (٥) عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده.»

العربي، أو هما الحلقة الأخيرة من سلسلته؛ إذ الحلقة الأولى من سلسلة الخط العربي هي الخط المصري القديم، وثاني حلقة هي الخط الفينيقي، وهو مشتق من الخط المصري القديم، وثالث حلقة هي الخط الآرامي المشتق من الفينيقي ومن الخط الآرامي. هذا اشتقَّ الخطان النبطي والسطرنجيلي السرياني للذان اشتقَّ منهما الخط العربي، كما تراه في الجدول الآتي: (جدول سلسلة الخط العربي شكل ١-٢)

| * جدول سلسلة الخط العربي * |                         |                            |                           |       |       |          |      |                 |                |
|----------------------------|-------------------------|----------------------------|---------------------------|-------|-------|----------|------|-----------------|----------------|
| شكل                        | مصري<br>مقدس<br>ميراثيق | مصري<br>للخامسة<br>ميراثيق | مصري<br>للخامسة<br>ديوطيق | فينيق | آرامي | سطرنجيلي | نبطي | عبري<br>او كوني | الحروف العربية |
| ١                          | 𐤀                       | 𐤁                          | 𐤂                         | 𐤃     | 𐤄     | 𐤅        | 𐤆    | א               | أ              |
| ٢                          | 𐤇                       | 𐤈                          | 𐤉                         | 𐤊     | 𐤋     | 𐤌        | 𐤍    | ב               | ب              |
|                            | 𐤎                       | 𐤏                          | 𐤐                         | 𐤑     | 𐤒     | 𐤓        | 𐤔    | ג               | ج              |

شكل ١-٢



شكل ١-٣: الخط الكوفي. كلمات من فاتحة القرآن الشريف «البسملة».

### (أ) أمثلة من اشتقاق الحروف العربية

لا يسعنا هنا أن نستقصي البحث عن تولّد كل الحروف واشتقاق بعضها من بعض، وإنما نقتصر على لمحة منها باعتبار بعض الحروف وتغيير صورتها في بعض الخطوط التي يهنا معرفة كيفية اشتقاق الخط العربي منها، ونمثّل لذلك بحرف «طاء»، فقد كانت صورتها عند الفينيقيين كما ترى في شكل ٣ «٩»، ثم أخذها الآراميون وغيرُوها قليلاً بحذف أحد الطرفين المتقاطعين داخل دائرتها وبقطع أعلاها صارت عندهم هكذا «ⲡ»، ثم تميّزت عند السريان فصارت شكل ٣ «٩»، وهي تمثّل الطاء في الخط الكوفي (الحِيرى) والنبطي غير أنها منحنية فيهما قليلاً شكل ٣ «٩»، ثم أخذها العرب فصارت «ط». ومثّل الطاء حرف الميم، كانت صورته الأصلية عند الفينيقين هكذا شكل ٣ «١٣»، ثم اختصرها

الآراميون شكل ٣ «١٣»، ثم تغيّرت عند السريان لِمَا أضافوه إليها وحذفوه منها، ثم صارت في الخط الكوفي والنبطي شكل ٣ «١٣»، ثم عند العرب هكذا «م». ومثل ذلك حرف النون، أصله بالفينيقي هكذا شكل ٣ «١٤»، ثم اختصره الآراميون هكذا شكل ٣ «١٤»، ثم حرّفه السريان فصار عندهم هكذا «ن»<sup>١</sup>، ثم صار في الخط النبطي والكوفي هكذا شكل ٣ «١٤»، وعنه أخذ العرب حرفهم «ن»، وكانت تُستعمل في القرن الأول من الهجرة كذلك «ر»، ويوجد في المصحف بدار الكتب الخديوية كتابة الرحمن هكذا «الرحمر»<sup>١</sup>. ويقال هكذا في بقية الحروف.

## (٢) تاريخ الخط العربي بعد الإسلام

وقد ظل الخط العربي بقسميه معروفاً عندهم إلى ظهور الإسلام، ولقلة انتشاره وانحصاره في أفراد قليلين يسهل علينا أن نعبر عن الأمة العربية بأنها كانت في ذلك الوقت أمة أميّة، وبذلك سمّاها القرآن لما جاء الإسلام بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾. والقرآن هو أوّل رافع لمنازل الخط العربي؛ لأنّ أوّل ما نزل على رسوله قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، وأقسم — جلّ ذكره — بالقلم في سورة أخرى فقال: ﴿بِالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، فبابتداء الإسلام ابتدأ انتشار الخط العربي للحاجة إليه في كتابة الوحي والرسائل التي كان يُنفذها الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء، وأوّل من عمل على نشره بطريقة عامة هو الرسول ﷺ فقد كان محباً لانتشار الكتابة وتعميمها بين الأمة العربية، يشهد بذلك ما فعله مع أسرى واقعة بدر، فقد قبل من الأميين الافتداء بالمال، وجعل فدية الكاتبين منهم أن يعلم كلّ واحد عشرة من صبيّة أهل المدينة، فكان ذلك أوّل مدرسة عُرفت لتخريج الكتّبة من المسلمين، وكان بمكة حين الرسالة عدد قليل ممن يخط، وبعد الهجرة ابتدأ الخط يشيع بالمدينة، وساعد على ذلك هذه الحادثة، وقد نهج أصحاب الرسول ﷺ وخلفاؤه من بعده هذا المنهج، فكان أكثر النشء الذي نشأ في عهدهم يعرف الكتابة، فخرج منه كتّاب

<sup>١</sup> انظر كلمة «الرحمن» في شكل ١-٣، وراجع محاضرات الدكتور جويدي «أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب» ص ٧٣.

الدواوين وُكِّتَابَ الرِّسَالِ<sup>٢</sup> وَكُتِّبَ الْقُرْآنُ، أَمَّا الْخُلَفَاءُ أَنْفُسَهُمْ وَأَكْثَرُ كِبَارِ الصَّحَابَةِ فَقَدْ كَانُوا كُلُّهُمْ يَعْرِفُونَ الْكِتَابَةَ، وَقَدْ كَتَبُوا لِلرَّسُولِ ﷺ، هَذَا فَضْلًا عَنْ أَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ تَعَلَّمُوا فِي الْإِسْلَامِ، فَاِنْتَشَرَ الْخَطُ بِالتَّدْرِيجِ، وَمِمَّا سَاعَدَ أَيْضًا عَلَى نَشْرِهِ عَظِيمُ شَأْنِهِ إِذْ ذَاكَ عِنْدَ الْعَرَبِ فَقَدْ كَانُوا يُسَمُّونَ مَنْ يَعْرِفُهُ وَيَعْرِفُ الرَّمِيَّ وَالسَّبَاحَةَ «بِالْكَامِلِ»<sup>٣</sup>؛ فَلِذَاكَ رَغِبُوا فِيهِ، وَأَخَذُوا يَتَسَابَقُونَ إِلَى تَعَلُّمِهِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ لَمْ يُكْتَبْ شَيْءٌ مِنَ الْكُتُبِ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ إِلَّا الْقُرْآنُ، فَإِنَّهُ لَمْ تَكُنْ مَصَاحِفُ عِثْمَانَ بْنِ عِفَّانٍ تَصِلُ إِلَى الْأَمْصَارِ حَتَّى تَلْقُفَهَا النَّسَاحُ، فَأَجَادُوا نَقْلَهَا، وَتَنَافَسُوا فِي كِتَابَتِهَا، حَيْثُ كَثُرَ سَوَادُهُمْ فِي الْأَمْصَارِ، وَاتَّخَذَ نُسَاحُ كُلِّ صُفْعٍ طَرِيقَةً لَهُمْ فِي الْكِتَابَةِ، وَحِينَئِذٍ أَخَذَ الْخَطُ يَتَرَقَّى وَيَتَفَرَّعُ، شَأْنُ كُلِّ حَيٍّ.

## (١-٢) أَصْنَافُ الْأَقْلَامِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ

بَقِيَ الْخَطُ الْعَرَبِيُّ عَلَى حَالَتِهِ الْقَدِيمَةِ غَيْرِ بَالِغٍ مَبْلَغُهُ مِنَ الْإِحْكَامِ وَالِاتِّقَانِ فِي زَمَنِ الرَّسُولِ وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ؛ لِاشْتِغَالِ الْمُسْلِمِينَ بِالْحُرُوبِ حَتَّى زَمَنِ بَنِي أُمَيَّةٍ، فَابْتَدَأَ الْخَطُ يَسْمُو وَيَرْتَقِي، وَكَثُرَ عَدَدُ الْمُشْتَغَلِينَ بِهِ، وَفِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِمْ تَفَرَّعَ الْخَطُ الْكُوفِيُّ، وَكَانَتْ تُكْتَبُ بِهِ الْمَصَاحِفُ مِنْذُ أَيَّامِ الرَّاشِدِينَ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْلَامٍ اشْتَقَّتْهَا بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ كَاتِبٌ اسْمُهُ قُطْبَةُ الْمُحَرَّرِ كَانَ أَكْتَبَ أَهْلَ زَمَانِهِ، ثُمَّ اشْتَهَرَ بَعْدَهُ فِي أَوَائِلِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، انْتَهَتْ إِلَيْهِمَا الرِّئَاسَةُ فِي جُودَةِ الْخَطِ، وَهُمَا: الضُّحَّاكُ بْنُ عَجَلَانَ، كَانَ فِي خِلَافَةِ السُّفَّاحِ، فَزَادَ عَلَى قُطْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ حَمَّادٍ، وَكَانَ فِي خِلَافَةِ الْمَنْصُورِ وَالْمَهْدِيِّ، فَزَادَ بَعْدَ الضُّحَّاكِ، وَزَادَ غَيْرُهُ حَتَّى بَلَغَ عَدَدُ الْأَقْلَامِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى أَوَائِلِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ١٢ قَلَمًا، كَانَ لِكُلِّ قَلَمٍ عَمَلٌ خَاصٌّ وَهِيَ: (١) قَلَمُ الْجَلِيلِ: كَانَ يُكْتَبُ بِهِ فِي الْحَارِيبِ، وَعَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ، وَجِدْرَانِ الْقُصُورِ وَنَحْوِهَا، وَهُوَ مَا يُسَمَّىهِ الْعَامَّةُ الْآنَ بِالْخَطِ الْجَلِيِّ. (٢) قَلَمُ السَّجَلَاتِ. (٣) قَلَمُ الدَّبَّاجِ. (٤) قَلَمُ أُسْطُومَارِ الْكَبِيرِ. (٥) قَلَمُ الثَّلَاثِينَ. (٦) قَلَمُ الزَنْبُورِ. (٧) قَلَمُ الْمَفْتَحِ. (٨) قَلَمُ الْحَرَمِ: كَانَ يُكْتَبُ بِهِ إِلَى الْأَمِيرَاتِ مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ. (٩) قَلَمُ الْمَوْامِرَاتِ: كَانَ لِاسْتِشَارَةِ

<sup>٢</sup> كَالْتِي كَانَ يُرْسِلُهَا الرَّسُولُ ﷺ لِلْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ.

<sup>٣</sup> كَمَا كَانَ الْمَصْرِيُّونَ وَغَيْرُهُمْ فِي الْعَصْرِ السَّابِقِ يُلْقَبُونَ مَنْ يَعْرِفُهُ بِأَنَّهُ «يَفْكَ الْخَطَ»، كَأَنَّ الْخَطَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الطَّلَاسِمِ؛ وَذَلِكَ لِغَلْبَةِ الْأُمِّيَّةِ فِيهِمْ.

الأمراء ومناقشتهم. (١٠) قلم العهود: كان لكتابة العهود والبيعات. (١١) قلم القصص. (١٢) قلم الخُرفاج. ولما ازداد عصر العباسيين بآنوار العلوم والعرفان، وخصوصاً في أيام المأمون، أخذت صناعة الخط تنمو وتنتشر وتتقدّم كسائر العلوم التي ضرب فيها المسلمون بسهامٍ نافذة؛ لاحتياجهم إليها، فتنافس الكتّاب في أيامه في تجويد الخط، فحدث القلم المرصّع، وقلم النُّسّاخ، وقلم الرياسي<sup>٤</sup> نسبة إلى مخترعه ذي الرئاسة وزير الفضل بن سهل، وقلم الرّقاع، وقلم غبار الحلبة،<sup>٥</sup> وكان يُكتَب به بِطَائِقُ حَمَام الرسائل، وهكذا كان كلُّ قلمٍ مُعدّاً لنوع من الكتابة، كما تُكتَب الآن الإنعامات بالرُّتَب بقلم خاصّ، والأوراق الديوانية بقلم خاصّ والأواح الحجر بخطّ آخر، وكُتِبَ التعليم بآخر.

فزادت الخطوط العربية على عشرين شكلاً، وكلها تُعدُّ من الخط الكوفي، فهو إذ ذاك كان خط الدّين والدّولة، وقد كان يُكتَب به القرآن منذ أيام الراشدين — كما أسلفنا — حتى أواسط العصور الإسلامية (شكل ١-٤). وأمّا الخط النسخي فقد كان مستعملاً بين الناس لغير المخطوطات الرسمية، حتى نبغ الوزير أبو علي محمد بن مقلّة المتوفى سنة ٣٢٨هـ، فأدخل في الخط المذكور تحسيناً كبيراً، بعد أن كان في غاية الاختلال، وأدخله في المصاحف وكتابة الدواوين، وقد اشتهر بعد ابن مقلّة جماعة كثيرة من الخطّاطين، هذبوا طريقته، وكسوها حلاوةً وطلاوةً، أشهرهم علي بن هلال المعروف بابن البوّاب المتوفى سنة ٤١٣هـ/١٠٣١م، وقد اخترع عدة أقلام، وياقوت بن عبد الله الرُّومي المُستعصمي المتوفى سنة ٦٩٨هـ، وغيرهما كثير، وقد تفرّع الخط النسخي المذكور بتوالي الأعوام إلى فروع كثيرة، وأصبحت الأقلام الرئيسية في الخط العربي اثنين: الكوفي والنسخي، ولكلّ منهما

<sup>٤</sup> يصح أن يُقال: رَيس في رئيس؛ قال الكُميت يمدح محمد بن سليمان الهاشمي:

تلقى الأمان على حياض محمد      ثولاء مُخْرِفة وذئب أطلس  
لا ذي تخاف ولا لهذا جرأة      تُهدى الرعية ما استقام الرئيس

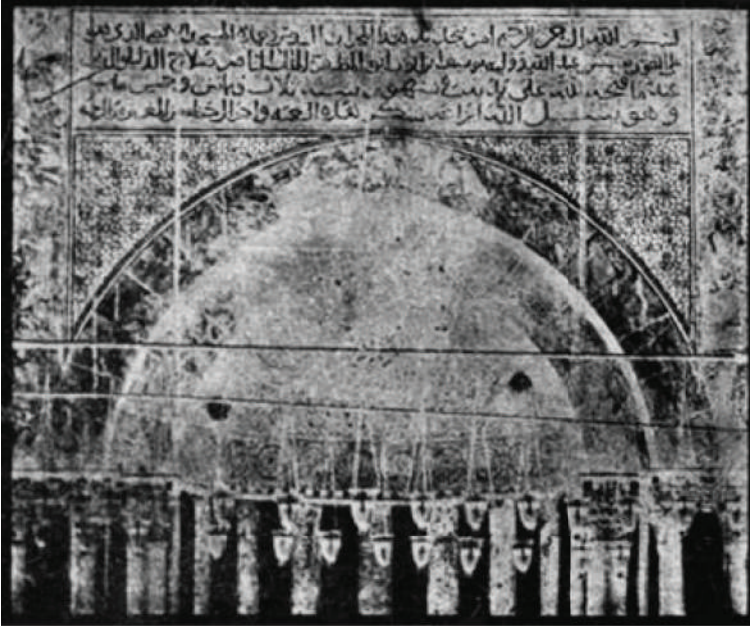
والثُّولاء: النعجة، والمُخْرِفة: لها خَروفٌ يتبعها، ضرب لذلك مثلاً لعدله وإنصافه، حتى إنّه ليشرب الذئب والشاة من ماء واحد، استشهد به الجوهري والزَّبيدي في تاج العروس وغيره على ما قلناه أنّ الرئيس يقال فيه: رَيس.

<sup>٥</sup> كشف الظنون ٤٦٦ ج١.



شكل ١-٤: الخط الكوفي الجميل. آيةٌ من مصحفٍ كتبه أبو بكر الغزنوي سنة ٥٥٦هـ، وتوضيحها: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى ...﴾

فروع كثيرة، اشتهر منها بعد القرن السابع للهجرة ستة أقلام بين المتأخرين وهي: التُّلُثُ، والنسخ، والتعليق، والريحاني، والمحقق، والرقاع، برز في هذه الأقلام جُلَّةُ من العلماء، وما زال الخط يتفرَّع إلى الآن، فقد ظهر بعد هذه الستة الأقلام القلم الديواني، والقلم الدشتي، والقلم الفارسي، وغيره، وبقي الأمر تابعًا لارتفاع الدولة وانخفاض شأنها (انظر شكل ١-٥)، فإنه لما تضعضت خلافة بغداد، وانتقلت الخلافة إلى مصر والقاهرة انتقل الخط والكتابة والعلم إليها، وسرى منها إلى مضافاتها من البلاد التابعة لدولتها، وإلى ما جاورها، وما زال الخط في جميع هذه الأماكن آخذًا في الجودة إلى هذا العهد، وصار



شكل ١-٥: الخط في أيام صلاح الدين ٥٨٣. كتابة له على محراب المسجد الأقصى ببيت المقدس.

للحروف قوانين في وضعها، وأشكالها متعارفة بين الخطّاطين، وقد حفظ لنا القَلَقَشْنُدي بيانات صحيحة عن أواسط عصر المماليك (أواخر القرن الثامن للهجرة)، فذكر في الجزء الثالث<sup>٦</sup> من كتابه صبح الأعشى أنواع الخطوط المستعملة في الدواوين، وعلّق عليها معتمداً على نماذج منها نُشرت في هذا الكتاب، وهي ستة أنواع:

(١) الطومار الكامل: ويشتمل على جملة أنواع، وكان يكتب به السلطان علاماته على المكاتبات والولايات ومناشير الإقطاع.

(٢) مختصر الطومار: وهو على نوعين: التُّلُث والمحقق، وكان يُكتب به في عهد الملوك عن الخلفاء والمكاتبة إلى القانات العظام من ملوك بلاد الشرق.

<sup>٦</sup> ص ٥١ وما بعدها، من طبعة المطبعة الأميرية سنة ١٣٣٢هـ.

- (٣) التُّلُثُ: وهو نوعان: الثقيل والخفيف.
- (٤) التوقيع: وهو ثلاثة أنواع، وكانت تُوقَع به الخلفاء والوزراء على ظهور القصص.
- (٥) الرقاع: وهو على ثلاثة أنواع أيضًا، وكان يُكْتَب به في الرِّقَاع؛ جمع رُقْعَة، وهي الورقة الصغيرة التي تُكْتَب فيها المكاتبات اللطيفة والقصص، وما في معناها.
- (٦) الغبار: وهو نوع واحد، وكان يُكْتَب به بطائِقُ الحَمَام والملطِّفات وما في معناها، ونرى من الكتابات المنقوشة على الأحجار في أيام المماليك جمال هذا الخط وبهائه، وهو وإنْ كانتْ حروفُه مستطيلة فهي ربما أجمل مما كانت عليه في أيام العباسيين.

ولمَّا آلت الخلافة إلى الأتراك بعد زوال دولة المماليك بمصر، ورثوا بقايا التمدُّن الإسلامي، فكان لهم اعتناءٌ خاصٌّ بالخط، وقد أخذوا في إتقانه على أيدي الأساتذة الفارسيين الذين اعتمدوا عليهم في الآداب والفنون، وقد حفظ الأتراك عدة قرون في مصالح حكومتهم ودوائرهم الملكية والعسكرية أنواع الخطوط التي كانت مستعملة في القرون الوسطى، فكان يُعرَف عندهم في القرن الحادي عشر للهجرة ٣٠ نوعًا تقريبًا، إلَّا أنَّه أَهْمَل أَكْثَرُهَا أثناء القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ولم يبقَ مستعملًا منها في الوقت الحاضر إلَّا ما سنذكره في الفصل الآتي، والأتراك هم الذين أحدثوا الخط الرُقْعَة والخط الهمايوني، وإليهم انتهت الرئاسة في الخط على أنواعه إلى عهدنا هذا، وقد أخذنا عنهم الخط المعروف بالإسلامبولي، ولن يزال الخط يتفرَّع إلى ما شاء الله عملًا بسُنَّة الارتقاء.

## (٢-٢) الأَقْلَامُ الْمُسْتَعْمَلَةُ الْآنَ

- (١) الخط النسخي: أمَّا الْآنَ فَقَدْ أَهْمَلِ الْخَطُ الْكُوفِيُّ، وَصَارَ الْخَطُ النَّسْخِيُّ هُوَ الْأَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا فِي كِتَابَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَيْنَمَا وُجِدَتْ، وَكَذَلِكَ فِي كِتَابَةِ اللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ وَالتُّرْكِيَّةِ وَالْأَفْغَانِيَّةِ وَالسَّنْدِهِيَّةِ، وَغَيْرَهَا مِنْ لُغَاتِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، فَإِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ فِيهَا الْخَطُ النَّسْخِيُّ فِي الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَعَلَى الْخُصُوصِ فِي الْمَوَاضِعِ الدِّينِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ كَمَا سَيَأْتِي.
- (٢) الْقَلَمُ الْفَارْسِيُّ: وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْخَطِ الْقَبْرَامُوزِ الْمَتَوَلِّدِ مِنَ الْخَطِ الْكُوفِيِّ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ، وَتُكْتَبُ بِهِ الْآنَ اللُّغَةُ الْفَارْسِيَّةُ، وَيُسْتَعْمَلُ غَالِبًا عِنْدَ الْهِنْدُ فِي كِتَابَةِ لُغَتِهِمُ الْهِنْدُسْتَانِيَّةِ (الْأُورْدِيَّةِ)، وَسَيَأْتِي تَفْصِيلُ تَارِيخِهِ وَفُرُوعِهِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى اللُّغَةِ الْفَارْسِيَّةِ.
- (٣) الْقَلَمُ الْمَغْرِبِيُّ: الْمُسْتَعْمَلُ فِي مَرَاكُشَ وَالْجَزَائِرِ وَتُونِسَ وَطَرَابُلُسَ لِكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْبَرْبَرِيَّةِ مَعًا، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ بِالتَّفْصِيلِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى لُغَاتِ الْمَغْرِبِ.

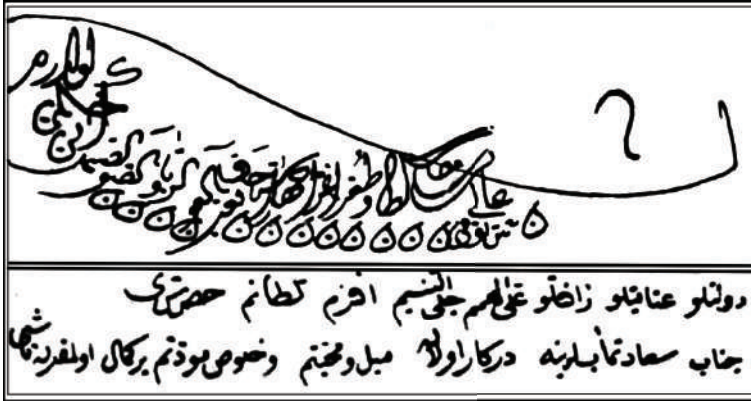
(٤ و ٥) القلم الرُّقعة والقلم الثُّلث: الرُّقعة هو خط الدواوين في تركيا وغيرها، ويغلب استعماله أيضاً في المراسلات الاعتيادية، وقد أسلفنا أنه والقلم الهمايوني من مُستحدّثات الأتراك، وهما يُستعملان عندهم إلى الآن، وقد انتشر الرُّقعة بِسُلطة الأتراك في جزء من البلدان العربية، ومع أنه مكروهٌ من بعض العرب الخُلص؛ لأنَّه خط تركي،<sup>٧</sup> فهو مستعمل في مصر والعراق وسوريا مثل القلم الثُّلث المستعمل عند الجميع، إلّا أنَّ الثُّلث يُستعمل في الزخرفة والتزويق أكثر من استعماله في الكتابة العادية.

(٦) قلم التعليق، أو الكتابة الفارسية المحرّفة: وهو يُستعمل في تركيا لكتابة الأوراق والأعمال القضائية الشرعية، وكذلك في الكتب، وخصوصاً في كتب الأشعار والدواوين (شكل ٦-١)، كما سترى عند الكلام على الخط الفارسي.

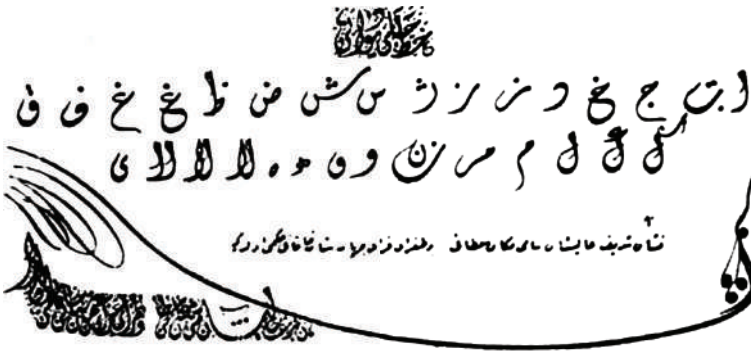


شكل ٦-١: قلم التعليق. بيئتُ من أشعار الفردوسي الشاعر الفارسي المشهور، ويُقرأ هكذا: «همين چشم دارم زخوانندگان که نامم به نیکوبرند برزبان».

(٧) القلم الديواني: الذي اشتق مباشرة من خط التوقيع القديم، وهو على نوعين: أحدهما كبير قليلاً، وهو المستعمل في الدواوين السلطانية بتركيا لكتابة المراسيم والدبلوماسية Les diplômes (الفرمانات والبراءات) على جميع أنواعها، والآخر أصغر منه، وهو وإن يكن قد قلَّ استخدامه بعض الشيء، إلّا أنه مستعمل كثيراً في المحاكم الدينية والشرعية التي تَسْتَعْمِل أيضاً خط التعليق. أمّا الهمايوني المتقدّم ذكره فهو نفسه الخط الديواني الكبير، ويُسمّى عندهم «جلي ديواني» أي القلم الديواني الجلي (شكل ٧-١ و ٨-١)، وهو يُستعمل لكتابة الفرمانات السلطانية المتعلّقة بالوسامات.



شكل ١-٧: القلم الديواني الجلي (القسم الأعلى)، والقلم الديواني (القسم الأسفل)، ويُقرأ القسم الأعلى هكذا: «نشان شريف عاليشان سامي مكان وطغراي غراي جهان ستان خاقاني نفذ بالعون الرباني والصون الصمداني حكيم أولدركه».

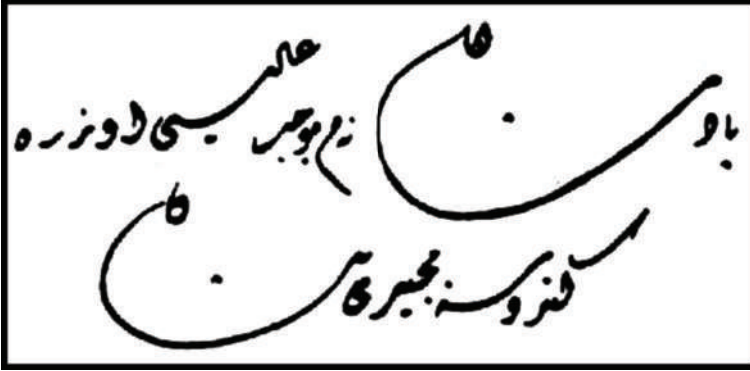


شكل ١-٨: القلم الديواني الجلي.

وَتُمَدُّ الحروف النهائية في الخط الديواني، وخصوصاً الجيم والحاء والخاء والعين والغين إذا جاءت في أواخر الكلم، وكذلك أطراف السين والشين والصاد والضاد، كما ترى في شكل ١-٩.

(٨) القلم النَّسْتَعْلِيق، أو الخط الفارسي المنسوخ: وهو يُستعمل عند الفُرس، وسيأتي ذكره عند الكلام على الخط الفارسي وفروعه.

(٩) قلم الإجازات: وهو يتألف من الخط النسخي والخط التُّلُث بتصرُّف مع بعض زيادات لا توجد في غيره، وهو يُستعمل عند الأتراك أحياناً.



شكل ١-٩: القلم الديواني الكبير (الهاميوني).

والخط في تركيا لم يزل مشرفاً، وأعمال الخطّاطين الكبار أمثال حمد الله المتوفى سنة ٩٣٠/١٥٣٠، وحافظ عثمان المتوفى سنة (١٦٩٨/١١١٠) لم تزل معتبرة كنماذج تُقلَّد، أمّا في البلدان العربية، وخصوصاً في مصر فإن الاعتناء بالخط أخذ في الضعف والإهمال بسبب سرعة انتشار المطابع.

### (٣) حروف الهجاء العربية وترتيبها

أمّا ترتيب حروف الهجاء العربية فهو مخالفٌ لترتيب الحروف الأخرى المرتبة على أبجد هوز ... إلخ، وهو الترتيب القديم المعروف عند أكثر الأمم، ولا سيّما الأمم السامية، وأمّا العربية فتبتدئ هكذا: أ ب ت ث ... إلخ، مع أنّ التاء في اللغات الأخرى هي آخر حروفها، وهذا الترتيب حديث في اللغة العربية وضّعه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر العدواني في زمن عبد الملك بن مروان، وهو مبنيٌّ على مشابهة الحروف في الشكل، فابتدأ بالألف والباء؛ لأنّهما أول الحروف في ترتيب أبجد، وعقبًا بالتاء والثاء لمشابهتهما الباء، ثم ذكرا الجيم

من حروف أبجد وعقبا بالحاء والحاء للمشابهة، ثم ذكر الدال وعقبا بالذال، ولكون الهاء تشبه أحرف العلة في الخفاء أخرها معها لأخر الحروف، وقبل أن يذكر الزاي ذكر الراء المشابهة لها لتكون الزاي مع باقي أحرف الصفير؛ ولذلك ذكر السين بعد الزاي، وعقبا بالسين للمشابهة، ثم ذكر الصاد وعقبا بالصاد، ثم رجعا للطاء من أبجد وعقبا بالطاء وأخر أحرف «كلمن»؛ حتى يفرغا من الأحرف المتشابهة، وذكر العين وعقبا بالعين، ثم ذكر الفاء وعقبا بالقاف، ثم ذكر أحرف كلمن والهاء وأحرف العلة.

ولكون ترتيب أبجد يختلف عند المغاربة<sup>٨</sup> عن ترتيبها عند المشارقة، كان ترتيب الحروف عند المغاربة بعد ضم كل حرف إلى ما يشابهه في الشكل هكذا:

«ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي.»

#### (٤) الأحرف الخاصة بالعربية واللغات الأخرى

وفي الخط العربي فضلاً عن الحروف الشرقية الأخرى ستة أحرف، هي: الثاء والحاء والذال والصاد والطاء والعين «تخذ ضغط»، وقد اقتضتها طبيعة اللغة العربية، وهذه الأحرف لا مخرج لها في اللغات الأخرى إلا بتركيب مع حرف آخر، والصاد منها خاصة باللغة العربية دون سواها، وهذا هو سبب تلقيب العرب أو المتكلمين بالعربية بلقب «الناطقون بالصاد» وتمييزهم بها، وفي الحديث: «أنا أفصح من نطق بالصاد» إشارة إلى ذلك.

وهنا ملاحظة ينبغي الإشارة إليها، وهي أن هذه الأحرف الستة لا تستعمل غالباً في اللغات الإسلامية الآتية «التي تكتب بالخط العربي» إلا لكتابة الكلمات العربية الدخيلة في لغاتهم؛ ولذلك فهم لا ينطقون بها تماماً إذا قرءوها في نصوص عربية، بل يُشركونها مع حرف آخر، فمثلاً إذا أرادوا النطق «بالباء» أو «بالصاد» تكلفوهما، فالطاء تخرج بين التاء والطاء كالسلطان والطوفان، والصاد تخرج كالزاي المفخمة في نحو رمضان وهكذا، ولما كانت هذه الأحرف معدومة عندهم فهم يستعملون حروفاً<sup>٩</sup> أخرى معدومة في العربية

<sup>٨</sup> ترتيب المغاربة في أبجد يختلف قليلاً عن ترتيبها عند المشارقة، فيقولون: «أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرست ثخذ طغش»، وسبب هذا الاختلاف أن المغاربة يروون الترتيب عن الأمم القديمة على خلاف ما يرويه عنهم المشارقة.

<sup>٩</sup> هذه الأحرف عربية شكلاً لا نطقاً، وهم يميزونها في الكتابة عن أشباهها بوضع نقط أو علامات فوق الحرف أو تحته، كما سترى بعد.

تقتضيها طبيعة لغاتهم؛ ولهذا كان من الضروري لنا أن نذكر هذه الأحرف عند ذكر لغاتها؛ لأنها تكون بمثابة تكملة لحروف الهجاء العربي عندهم.

## (٥) النُّقْط والحركات في الخط العربي

### (١-٥) الحركات

لَمَّا اقْتَبَسَ العرب الخط من الأَنْبَاطِ والسريان كان خَالِيًا من الحركات والإِعْجَامِ، فالحركات فيه حَادِثَةٌ في الإسلام، والمشهور أَنَّ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَهَا أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ المِتَوَفَّى سنة ٦٩ هـ. لَمَّا كَثُرَ اللَّحْنُ في الكلام؛ لاختلاط العرب بالأعاجم في صدر الإسلام، فكانت الحركات إذ ذاك نُقْطًا يُمَيِّزُونَ بها الضم والفتح والكسر، فكانت النقطة فوق الحرف دليلاً على الفتح، وإلى جانبه دليلاً على الضم، وتحت دليلاً على الكسر، ولم تُشْتَهَرْ طريقة أبي الأسود هذه إلا في المصاحف، حرصاً على إعراب القرآن، أَمَّا الكُتُبُ العَادِيَةُ فكانوا يَفْضَلُونَ ترك الحركات والنُّقْطَ فيها؛ لِأَنَّ المَكْتُوبَ إِلَيْهِمْ كانوا يُعْذُونَ ذلك تَجْهِيلًا لَهُمْ، قال بعضهم: «شكل الكتاب سوء ظن بالمكتوب إليه».

أَمَّا استبدال النُّقْط بالحركات الحديثة، فالغالب أَنَّهُ حَدَثَ تنويعًا للحركات عن النُّقْط التي يُمَيِّزُونَ بها الباء عن التاء خوفًا من الالتباس، فالحركات الحديثة وَضِعَتْ بعد ذلك لتقوم مقام حروف العِلَّة؛ لمُشَابَهَةِ الحركات لها، فجعلوا للضمة التي يُشَبِّه لَفْظُهَا الواو علامة تُشَبِّه الواو، والتي يُشَبِّه لَفْظُهَا الألف وهي الفتحة علامة تُشَبِّه الألف لكنها مستقيمة، ومثلها للكسرة من تحت، وهكذا.<sup>١٠</sup>

### (٢-٥) الإِعْجَام وضبط الحروف العربية

أَمَّا الإِعْجَام أو النُّقْطُ فَيُظَنُّ أَنَّهَا كانت موجودة في بعض الحروف قبل الإسلام وتُنَوِّسَت، ولكن المشهور أَنَّ اختراعها كان في زمن عبد الملك بن مروان، وذلك أَنَّهُ لَمَّا كَثُرَ التَّصْحِيفُ، خصوصًا في العراق، وَالتَّبَسُّتُ القِرَاءَةَ على الناس، لتكاثر الأعاجم من القُرَّاء، والعربية ليست لغتهم، فصُعِبَ عليهم التمييزُ بين الأحرف المتشابهة، ففَزَعُ الحَجَّاجُ إلى كُتَّابِهِ،

<sup>١٠</sup> راجع محاضرات الأستاذ حنفي بك ناصف «تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية» ص ٩٦.

وسألهم أن يضعوا لهذه الأحرف المتشابهة علاماتٍ، ودعا نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني (تلميذَي أبي الأسود) لهذا الأمر، فَوَضَعَا النِّقْطَ أو الإِعْجَامَ أَزْوَاجًا وأفرادًا، بعضها فوق الحروف، وبعضها تحتها، وسُمِّيَ الإِعْجَامُ إِعْجَامًا لِأَنَّ الإِعْجَامَ فِي الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّ هُوَ التَّكَلُّمُ عَلَى طَرِيقَةِ الْأَعْجَامِ، كَمَا أَنَّ الْإِعْرَابَ هُوَ التَّكَلُّمُ عَلَى طَرِيقَةِ الْعَرَبِ، وَكَانَ الْجُمْهُورُ يَكْرَهُ — كَمَا قُلْنَا — الإِعْجَامَ وَالْحَرَكَاتَ فِي الْكِتَابَةِ وَيَنْفِرُ مِنْهُمَا، وَلَكِنْ النَّاسُ رَجَعُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ هَذَا الرَّأْيِ حَتَّى كَانُوا يَعْدُونُ إِهْمَالَ الإِعْجَامِ خَطَأً فِي الْكِتَابَةِ، وَاسْتَمَرَّ الْأَمْرُ عَلَى اتِّبَاعِ هَذَا الإِعْجَامِ إِلَى الْآنِ.

### (٣-٥) الْكِتَابَةُ وَاتِّجَاهُ السُّطُورِ فِيهَا

لَمْ يَتَقَرَّرْ لَاتِّجَاهِ السُّطُورِ فِي الْكِتَابَةِ نِظَامٌ إِلَّا بَعْدَ تَرْقِيئِهَا؛ وَلِذَلِكَ كَانَتْ الْكِتَابَةُ يُدَوَّنُهَا الْأَوَّلُونَ أُنْثَى اتَّفَقَ، لَا يَرَاعُونَ لَهَا نِظَامًا فِي اتِّجَاهِ سَطُورِهَا، كَمَا كَانَ عِنْدَ قَدَمَاءِ الْيُونَانِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَكْتُبُونَ تَارَةً مِنَ الْيَسَارِ إِلَى الْيَمِينِ، وَطَوْرًا مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الْيَسَارِ، وَأَحْيَانًا يَجْمَعُونَ بَيْنَهُمَا.

فَلَمَّا تَرَقَّتْ الْكِتَابَةُ وَتَقَرَّرَ نِظَامُهَا عِنْدَ الْأُمَمِ، اتَّخَذَتْ كُلُّ أُمَّةٍ مِنْهَا طَرِيقًا مَخْصُوصًا فِي كَيْفِيَةِ سِيرِهَا: فَأَهْلُ الصِّينِ وَأَتْبَاعُهُمْ صَارُوا يَكْتُبُونَ مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَسْفَلِ وَمِنَ الْيَمِينِ إِلَى الْيَسَارِ عَلَى الْخَطِّ الرَّأْسِيِّ؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ كِتَابَتُهُمْ «بِالشَّجَرِ»، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ اعْتِقَادٌ خَاصٌّ؛ حَيْثُ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ — سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — مُوجُودٌ فِي السَّمَاءِ الْعُلْيَا، فَكُلُّ شَيْءٍ لَا يَدُّ وَأَنْ يَأْتِيَهُمْ مِنْ جِهَتِهِ؛ وَلِذَلِكَ صَارُوا يَكْتُبُونَ مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَسْفَلِ.

وَأَهْلُ أَوْرُوبَا صَارُوا يَكْتُبُونَ مِنَ الْيَسَارِ إِلَى الْيَمِينِ؛ لَكُنِ الدُّورَةُ الدَّمَوِيَّةُ تَبْتَدِئُ مِنَ الْقَلْبِ الْمَوْجُودِ فِي الْجِهَةِ الْيَسْرَى، وَالْقَلْبُ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ مَرْكَزُ الْعَقْلِ، فَوَجِبَ أَنْ تَكُونَ الْكِتَابَةُ مِنَ الْجِهَةِ الْمَقَابِلَةِ لِلْعَقْلِ الَّذِي يَسْتَمِدُّ مِنْهُ الْبَنَانُ؛ فَلِذَلِكَ صَارُوا يَكْتُبُونَ مِنَ الْيَسَارِ إِلَى الْيَمِينِ.

أَمَّا الْعَرَبُ وَالسَّرِيَانُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّامِيَةِ فَصَارُوا يَكْتُبُونَ مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الْيَسَارِ بِالنِّسْبَةِ لَكُنْ الطَّبِيعَةُ قَضَتْ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَا يَعْمَلُهُ الْإِنْسَانُ إِلَّا بِيَدِهِ الْيُمْنَى، كَمَا وَأَنَّهُ لَا يَنْتَقِلُ مِنْ جِهَةٍ إِلَى أُخْرَى إِلَّا بِالرَّجْلِ الْيُمْنَى، فَلِذَلِكَ صَارُوا يَكْتُبُونَ مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الْيَسَارِ.<sup>١١</sup>

<sup>١١</sup> الْكِتَابَةُ وَالْكِتَابُ لِلشَّهِيدِ، وَانْظُرْ صَبْحَ الْأَعْشَى، ج ٣، ص ٢١.

## انتشار الخط العربي

فالكتابة العربية الحالية متصلة من القديم، وتُكتب أينما وُجدت من اليمين إلى الشمال على السطر الأفقي، وقد روى الدكتور بشارة زلزل في كتابه تنوير الأذهان أنَّه «لم تزل بعض الأمم كالصومال تكتب الخط العربي من أعلى إلى أسفل (أي على السطر الرأسي) وتقرؤه من اليمين إلى اليسار»<sup>١٢</sup> وهذا غريب يحتاج الإثبات.

---

<sup>١٢</sup> تنوير الأذهان في علم حياة الحيوان والإنسان، ص ٢٣٨.

## الفصل الثاني

# الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي

### (١) تمهيدٌ في الحضارة الإسلامية

ظهر الإسلام والخط العربي معروف في الحجاز، ولكنه لم يكن شائعاً فيه كما تقدّم، بل كان محصوراً في فئة قليلة من الصحابة وبعض أهل الذمة.

ولما عمّ الإسلام جزيرة العرب<sup>١</sup> كلها، وذهب بدولتي الفُرس والرُّوم في العراق وفارس وسوريا ومصر وإفريقية وغيرها، وانتشرت معه اللغة العربية بين المسلمين وغيرهم من أهل هذه البلدان، انتشر معها الخط العربي في كل بقعة من هذه البقاع، ثم تجاوزها إلى لغات العالم الإسلامي في بلاد الفُرس والتُّرك والهند، وغيرهم ممن أصبحوا يكتبون به لغاتهم منذ بضعة عشر قرناً إلى الآن بفضل انتشار الحضارة الإسلامية، وتأثيرها في العالم، واتساع نفوذها، ورسوخ أصولها في الأصقاع المتناثرة.

فالإسلام هو السبب الوحيد في انتشار الخط العربي، إن لم نُقلْ هو مُحييه ورافعه إلى أوج الظهور، حتى انتشر هذا الانتشار العظيم بين الأمم الإسلامية وغيرها في آسيا وأفريقيا وأوروبا حتى بلغت حدوده من أقاصي الهند وأرخبيل الملايو (ماليزيا) شرقاً إلى أقصى بلاد المغرب وبحر الأديريتيك غرباً، ومن أعلى تركستان وأواسط روسية أوروبا شمالاً، إلى

---

<sup>١</sup> يُطلق العرب اسم الجزيرة على بلادهم التي هي في الحقيقة عبارة عن شبه جزيرة، ولكنهم كانوا يسمون الاثنين جزيرة بلا فارق سوى العهد الذهني، وقولهم: جزيرة العرب، وجزيرة الأندلس، أخف من قولنا: شبه جزيرة العرب، وشبه جزيرة الأندلس.

أدنى زنجبار جنوبًا، وقد تخطى الآن خِصَمَّات الأُقيانوس، وبلغ إلى قارة أمريكا وغيرها من جُزُر البحار، فهو يضم بين دَفْتَيْهِ أُمَّمًا لَا تُحصى، مختلفة الأجناس والعادات، متعدّدة اللغات واللهجات، كالعرب والأتراك والفُرس والهنود والملايو والأفغان والتُّتر والأكراد والمغول والتُّبُر وأهل السودان والزنج والساحليين وغيرهم، ويظل تحت رايته من ٢٠٠ مليون إلى ٢٥٠ مليونًا من الأنفس، ما عدا أكثر من مائة مليون من المسلمين يكتبون به في اللغة العربية نصوص الدِّين كالقرآن وغيره، مما هو أثرٌ باقٍ لذلك التمدُّن العظيم.

## (٢) التمدُّن الإسلامي وسواه

فالتمدُّن الإسلامي لو قلنا: إنَّه لم يُخْلَفْ مثل ما خَلَفَه التمدُّن المصري القديم من الآثار البنائية كالهياكل والأهرام والبرابي والمسَلَّات، ولا مثل ما خَلَفَه التمدُّن البابلي والأشوري (الأثوري) من الخرائب والأطلال القرميدية والآثار البنائية، ولا مثل ما خَلَفَه التمدُّن اليوناني والرُّوماني من الآثار الفكرية والسياسية والبنائية كالمسارح والميادين، وغيرها من المصنوعات المحسوسة، وضرَبنا صَفْحًا عن الآثار العظيمة الإسلامية البنائية وغير البنائية كالجوامع والأبنية العربية العديدة، وغيرها من آثاره في الشرق والغرب، فإنَّه خَلَفَ آثارًا معنوية مطبوعة في النفوس تناقلتها الأمم عنه، فتوارثها الخَلَفُ عن السَّلَف والأبناء عن الآباء، كأنَّه وَسَمَ الأمَمَ التي دخلت في سلطانه بسماتٍ خالدة أهمُّها الدِّين واللغة ثم الخط، فبعض الأمَمِ وَسَمَ بالسَّمات الثلاث معًا، كمُسْلِمِي مصر والشام والعراق وبلاد المغرب وغيرها، فضلًا عن جزيرة العرب، وبعضها وَسَمَ بالسمتين: الدِّين والخط، كالترُّك والفرس ومسلمي الهند والملايو وغيرهم مما هو موضوع بحثنا في هذا الكتاب، والبعض الآخر وَسَمَ بسمتي اللغة والخط دون الدِّين، وهؤلاء هم أهل الذمة في العالم العربي، والبعض الآخر وَسَمَ بسمة الدِّين فقط كمسلمي الصين.<sup>٢</sup>

<sup>٢</sup> وإن يكن هؤلاء يكتبون بالخط العربي نصوص الدِّين كما سترى بعدُ، هذا، وفي الصين الآن ما يُنِيف على الخمسين مليون نسمة من المسلمين، وهم منتشرون في كل أنحاء المملكة، وخصوصًا في مقاطعات كاشغار وزنقاريا (شكل ٢-١) في الشمال الغربي، ومقاطعات يونان بأقصى الجنوب الغربي، وفي بلاد منشوريا وغيرها، وهم يتفاهمون باللغة الصينية، وأهم فروعها الكنتونية والشاوشوية والهاكية والفوشوية وغيرها.

هذا، وإن يكن للتمدُن الروماني سماتٌ تُشبه هذه السمات قد وُسم بها بعض أمم أوروبا وأمريكا، ونعني بها سميتي الخط واللغة، وهما من أهم آثاره، لكن الفرق بين آثاره وآثار التمدُن الإسلامي عظيم، فاللغة اللاتينية لم تبقَ شائعة على الألسنة، بل هي تُعدُّ من اللغات الميتة، وإن تكن قد دخلت في معظم لغات أوروبا، أمَّا اللغة العربية فيكفي أن نقول عنها: إنها باقيةٌ ما بقي الإسلام والقرآن يتكلَّم بها الآن عشرات الملايين من الأنفس، كما سيأتي بعدُ.

وأما الخط الروماني فهو وإن كانت الكتابة به شائعة عند بعض أمم أوروبا وأمريكا، فالخط العربي أكثر منه انتشارًا، وسترى أن الكتابة به عامةٌ عند المسلمين كافةً، فهو آلة الكتابة المشتركة بين جميع الأمم الإسلامية، وبالجملة فهو أثرٌ دينيٌّ والفرق كبير بين الأثر الديني وأثرٍ شاع بالاستعمار أو بتقليد المحكوم للحاكم.

### (٣) اللغات التي تُكتب الآن بالخط العربي

وإليك الكلام على اللغات التي يَكُتَبُ أهلُها الآن بالخط العربي في أنحاء العالم، ولا يستعملون في الكتابة غيره، مع التفصيل التام عن هذه اللغات وتعدادها وتاريخها الخاص بالموضوع، وارتباطها بهذا الخط، ومواقع البلدان التي تستعمل فيها، وإحصاءات عن المتكلمين بها، وما يزيده من الأحرف على حروف الهجاء العربي، وغير ذلك؛ ليتبيَّن للقراء حقيقة انتشار هذا الخط.

---

والإسلام قديم في مملكة الصين، والمشهور أن أصل مسلميها من الجُند الإسلامي الذي جَلَبه ملك الصين سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م في عهد أبي جعفر المنصور لكبح جماح الثائرين عليه، ولما تمكَّن بمساعدتهم من توطيد عرشه جازاهم عن ذلك بجواز الإقامة في مملكته مع امتيازات كثيرة، فظلوا فيها معتمدين بالهدوء والسكينة حتى اختلَّ نظام عائلة المنشوريين، وفسدت الأحكام في جميع بلاد الصين، فنشأ من ذلك ثورة المسلمين في مقاطعة يونان وفي مقاطعتي زنقاريا وكشغار، فأخضع الصينيون مسلمي يونان بعد قتال طويل، وأمَّا زنقاريا وكشغار فاستقلتا بقيادة يعقوب خان القائد الشهير، وقضى الصينيون ١٢ سنة يحاولون استرجاع كشغار فلم يستطيعوا ذلك إلا بعد وفاة أميرها يعقوب خان عام ١٨٧٧، وهكذا كان لمسلمي الصين — ولم يزل لهم — شأن كبير، فمنهم رجال الفضل والجند الذي عليه المعول، خصوصًا في إقليم يونان، ومنهم رجال التجارة، وهم مشهورون بين الصينيين بصدق المعاملة وقوة البأس.



شكل ١-٢: صينيون مسلمون في زنقاريا.

وقد قَسَمْنَا الكلام في هذه اللغات التي تكتب الآن به إلى خمسة أقسام:  
القسم الأول: هو مجموع اللغات التركية.  
والقسم الثاني: هو مجموع اللغات الهندية.  
والقسم الثالث: هو مجموع اللغات الفارسية.  
والقسم الرابع: هو مجموع اللغات الأفريقية.  
ثم القسم الأخير: وهو الخاص باللغة العربية، فنَتَقَدَّم للكلام على كلِّ منها:

### (١-٣) اللغات التركية

هي من اللغات الطورانية<sup>٢</sup> منتشرة بتركية أوروبا وتركية آسيا، وروسية أوروبا وروسية آسيا بتركستان وشواطئ بحر الخَزَر والقوقاس، ويتفاهَم بها المغول الأتراك من الأزابكة

---

<sup>٢</sup> نسبة إلى طوران Touran، وهي بلاد تركستان، واسم طوران في الأصل أطلقه الأتراك على بلادهم قديمًا وقت أن كان الفُرس في إِيَّان تمَدُّنهم، والترك — وكانوا يُعرَفون بالتركمَان — بدُّوا كانتْ غايتهم أن يسطوا على قوافل الفُرس وبلادهم للنَّهْب أو الغزو؛ ولذلك كانوا يسمون بلاد إيران «أرض النور» وبلادهم طوران أو تركستان «أرض الظلمة».

والتتر والتركمان والعثمانيين وغيرهم، ويُقدَّر عدد المتكلمين بها بنحو ٤٠ مليون نسمة تقريباً جُلُّهم من المسلمين، وأشهر فروعها التي تكتب به:

### (أ) التركية العثمانية

هي اللغة الرسمية للحكومة العثمانية، وهي منتشرة في ممالكها بأوروبا وآسيا، ويتكلم بها الأتراك والأرمن والأكراد وغيرهم من الشعوب في السلطنة العثمانية، وهي أكثر اللغات التركية تهذيباً وانتشاراً، وأوسعها آداباً، وقد اصطلح الناس على تسميتها «باللسان التركي»، وهي تختلف اختلافاً كلياً في الوقت الحاضر عما كانت عليه في الأزمنة الغابرة، حتى إنك إذا أتيت بكتاب تركي قديم العهد وأطلعت عليه شاباً من شبَّان الأتراك في هذه الأيام لما استطاع أن يفهم منه إلا القليل من الكلام نظراً للتغيُّر العظيم الذي طرأ على هذه اللغة في أدوارها الأخيرة؛ إذ إنها تنقحت وتهذبت وربطت بقواعد جعلتها أشبه باللغات الغربية، وشبَّان الأتراك الذين نشأوا في هذا العصر يسعون لقطع كل علاقة بين اللغة التركية القديمة واللغة العصرية الجديدة، حتى إنهم لا يسمونها اللغة التركية بل «اللغة العثمانية»، على أن كثيرين من الأتراك — وعلى الأخص القسم الذي يقطن ولايات الأناضول — لا تزال لغتهم قريبة من لغة أجدادهم، وأهالي الآستانة يستهجنون كلامهم كما يستهجن أهالي باريس كلام الفرنسيين الذين في بلاد كندا. واللغة التركية العثمانية تتألف من ثلاث لغات: إحداها اللغة «الجغتائية»، وسيأتي ذكرها بعد، وهي أصل التركية العثمانية، وثانيتهما «اللغة العربية» التي دخل من ألفاظها فيها نحو ٥٠ في المائة، وثالثتها «الفارسية» التي تُعدُّ ألفاظها فيها بنحو ١٥ في المائة، وقد دخلها الآن ألفاظ كثيرة من اللغات الإفريقية، حتى أصبحت — لكثرة ما أدخلوه فيها — تُشبه اللغة المالطية العربية<sup>٤</sup> واللغة الأوردية.

---

<sup>٤</sup> اللغة المالطية خليطٌ من اللغة العربية بنسبة التسعة أعشار من ألفاظها ومن الإيطالية، وعلى الأخص اللهجة الصقلية، وغيرها بنسبة العشر الباقي، وهي مشتقة من لهجة عوام المغرب العربية، ويتكلم بها في جزيرة مالطة وغودش، ويتبعهما جزيرتي كومينو وكومينوتو، وتاريخ دخول العربية يبتدئ بفتوح العرب لها سنة ١٥٢هـ، ولأن العرب مكثوا هناك مدةً طويلة تقرب من قرنين وربع قرن صارت لغتهم هي اللغة العامة فيها، حتى إنهم لما أُخرجوا منها كان أهلها قد اقتبسوا اللغة العربية منهم، فظلت شائعةً بينهم، واختلطت بلغات الفاتحين والمستوطنين، ولا قرآن يرجعون بها إليه، ولا قاموس

فهي لا تستنكف أن تضم إليها الكلمات الكثيرة من اللغات الأخرى، فصارت — بسبب ذلك — تضارع أشهر اللغات الإفرنجية في غزارة مادتها واتساع دائرة التخاطب بها.

والسبب في كثرة الألفاظ العربية في اللغة التركية العثمانية بهذا المقدار يفسره تاريخ الآداب فيها؛ وذلك أنه لم يكن للتركية العثمانية آدابٌ قبل القرن السابع للهجرة؛ أي قبل تأسيس دولتهم، وأقدم آدابها مُقتَبَس من الفارسية أو هو فارسي معنًى ومبنى؛ والسبب في ذلك أنَّ العثمانيين أقاموا دولتهم على أنقاض دولة السلاجقة الذين اختلطوا بالفرس، وتأدَّبوا بآدابهم، وكانت اللغة الفارسية لغة العلم والأدب والسياسة عندهم، فلما اقتبس الأتراك آدابهم من الفارسية اقتبسوا معها كثيرًا من آثار اللغة العربية وآدابها التي كان الفرس اقتبسوها قبلهم، غير الذي اقتبسه الأتراك من اللغة العربية رأسًا من الألفاظ والآداب الدينية؛ ولذلك كانت الألفاظ العربية في اللغة التركية أضعاف الألفاظ الفارسية فيها، فالأتراك يقلِّدون العرب بسائق الدِّين ويقلِّدون الفرس بسائق الأدب.

ولم تُكْتَب اللغة العثمانية إلَّا في القرن السابع للهجرة، وهي من ذلك الحين تُكْتَب بالخط العربي، وأول كتاب دُوِّن في نحو اللغة التركية وقواعدها بالخط العربي هو كتاب «الإدراك للسان الأتراك» الذي ألَّفه أحد علماء الإسلام في الأندلس، وهو أثير الدِّين محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان الغرناطي «توفي في مصر سنة ٧٤٥هـ» الذي خُلِدَ اسمه بما يخرج عن مقدور البشر من تصانيفه، اهتمَّ بوضعه في أوائل ظهور السلطنة العثمانية واستقلالها في سنة سبعمئة واثنى عشر؛ ليكون أساسًا لقواعد اللغة الرسمية العثمانية، وقد نُشر في الآستانة سنة ١٣٠٩، ونُشره أيضًا المسيو لوسين بوبا من مشاهير علماء المشرقيات الفرنسيين سنة ١٣٢٥.

يصحِّحون ألفاظها عليه، فأصبحت مشوَّهة بما دخل عليها من التحريف والتبديل، هذا، وإن يكن قد أصبح لها صحافة وآداب منذ عهد ليس ببعيد، فهي لم تُعَدَّ تُحَسَّب لهجةً عربية تكون صلة بين لغة مصر والمغرب، أمَّا كتابتهم فبالحرف اللاتيني! مع اصطلاحات مخصوصة في تصوير بعض المقاطع التي توجد في اللاتينية، إلَّا أنَّ هجاءهم يختلف كثيرًا عن الهجاء العربي، فربما ضمُّوا كلمتين في هجاء واحد، وربما قسَّموا الكلمة إلى هجاءين تبعًا لما يقتضيه اللفظ دون التركيب، مما يدل على أنَّ أصل الكلمات قد ضاع عندهم بالمرَّة، وهي — كما تراها — من اللغات المضحكة، ولكنك مع ذلك ترى أصحابها على أشد المغالاة بها، والتعصُّب لها، فلا يسمحون بإهمالها، ولا يرضون باستبدالها، وقد قامت قيامتهم لأجلها من عهدٍ غير بعيدٍ حتى كادت تجرُّ إلى ما لا خير فيه.

وأول مَنْ وَضَعَ قواعد اللسان العثماني في عصر الإصلاح هو جودت باشا المؤرِّخ الشهير.

ويزيد الأتراك على أحرف الهجاء العربية خمسة أحرف وهي «ڭ» بثلاث نقط وتنطق كالنون، وكاف يائية لا تنطق والأربعة الأحرف الفارسية الآتي ذكرها.

## (ب) التركية القازانية أو اللغة التترية

وهي منتشرة في ولاية قازان وما جاورها من الولايات في روسية أوروبا كولاية أوبا وغيرها، وهي لغة التتر<sup>٥</sup> المسلمين في هذه الولايات، ويُقدَّر عدُّهم بنحو مليون ونصف مليون نسمة، وللغة التترية آداب أصلية عندهم غير مقتبسة عن غيرهم من الأمم في الشعر والنثر، حتى إنَّ بعض شعرائهم يلتزم النظم بالتترية بدون أن يستعمل ألفاظًا دخيلة من العربية أو الفارسية أو غيرهما من اللغات التي دخل في التترية كلمات منها، بل إنَّ همَّ التتر جميعهم اليوم — كما قال الأستاذ فمبيري — هو تطهير لغتهم من الكلمات الدخيلة، كما كان همُّهم الوحيد في السابق هو مقاومتهم للطريقة المنسكية<sup>٦</sup> حتى استراحوا منها،

---

<sup>٥</sup> أشهر طوائف هذا الشعب تتر «قازان»، وهم أكثر التتر تمدُّناً وأفصحهم لغة، وتتر «القرم»، وتتر «كبتشاق» الذين كان الروس تحت حكمهم قبل القرن العاشر للميلاد، فقد حكم التتار المسلمون روسيا ٢٥٠ سنة، والسعيد من الروس في ذلك العهد مَنْ كان يزوجُ بنته إلى أمير من أمراء التتار، وتتر «أورنبورغ»، وتتر «أستراخان»، وتتر «سيريا»، وجميع التتر دينهم الإسلام إلا القليل منهم، وهم الياقوتية وكلهم تحت سلطة الروس الآن.

<sup>٦</sup> هي الطريقة التي استنبطها الأستاذ المنسكي الروسي من مشاهير المستشرقين في أواسط القرن الماضي لجعل التتر روسيين كرهاً، ومآلها استبدال حروف الهجاء العربية التي يستعملها التتر بحروف الهجاء الروسية ظناً منه أن ذلك يسهل التعليم الابتدائي في مدارس التتر ويدخلهم أخيراً في مذهب الأرثوذكس، فقاومه التتر مقاومةً عنيفة، فأسقط في يده، وخصوصاً لما صدر المنشور القيصري، ومنحت فيه حقوقاً دستورية لجميع الروس على اختلاف نحلهم، فثاروا على هذه الطريقة ومؤيديها من الروس، ويزكُّرنا هذا المطلب بما طلبه بعض الأوروبيين في مصر حين اقترحوا استبدال اللغة العربية الفصيحة باللغة العامية، وكتابتها بالحروف اللاتينية! بدعوى توحيد الكتابة في جميع أنحاء العالم! فلم يصادفوا إلاَّ الإعراض والخيبة في مسعاهم، ولا عجب! فإن مثل هذا المشروع غير طبيعي؛ إذا لا يعقل أن أمة تتكلَّم لغةً شهيرة، ذات حروف منتشرة، اقتبسها عنهم عشرات من الأمم العظمى (كما ترى هنا)، تترك حروفها هذه وتكتب بحروف غريبة، والمتأمل في كتابنا هذا لا يسعه إلا أن يسخر ممَّا يحاوله هؤلاء (انظر أيضاً فصل: الأديان ومحافظة الأمم على الخطوط، في آخر هذا الكتاب).

وتُنسَر بالتتريّة جرائد ومجلات ومؤلفات كثيرة (بالخط العربي بالطَّبْع)، وتُدْرَس بها جميع العلوم مثل التركية العثمانية، ويزيد التتر على أحرف الهجاء العربي الأحرف التي يزيدها الأتراك في اللغة التركية العثمانية.

### (ج) التركية القرمية

منتشرة في شبه جزيرة القرم بين سكانها التتر القرميين، وهي لغة المغول الذين احتلوا روسيا الجنوبية وشبه جزيرة القرم في القرن التاسع للهجرة، وقد دخلها كلمات كثيرة من العربية والروسية.

### (د) التركية النوجائية أو الكاراسية Nogai or Karass Turki

هي لهجة تترية شائعة في ولاية كاراس القوقاسية وما يجاورها من شواطئ البحر الأسود الشرقية، يتكلم بها التتر هناك، وهي تُشبه كثيراً التركية القرمية السالفة والأذرية الآتية.

### (هـ) التركية الأذرية<sup>٧</sup>

(الأذربيجانية) أو التركية الترنسقوقاسية،<sup>٨</sup> وهي منتشرة في أذربيجان، وتنقسم إلى لهجتين:

(١) شمالية: يتفاهم بها سكان قوقاسية آسيا (ترنسقوقاسيا) التابعة للروسيا، ويشتمل على حكومات باكو وتفليس وقوطاي وباطوم وغيرها.

(٢) جنوبية: يتفاهم بها سكان إقليم أذربيجان التابع للعجم، وكلتا اللهجتين تُكتَبان بالخط العربي، وتُطَبَع بالأذري عدة جرائد وكتب، وقد ألّف ميرزا فتح علي أخوند زاده

<sup>٧</sup> النسبة إلى أذربيجان «آذري»، كما وقع في كلام سيدنا أبي بكر — رضي الله عنه — لأذربيجاني.  
<sup>٨</sup> تنقسم قوقاسيا إلى قسمين: (١) شمالي شرقي يعدُّونه من قارة أوروبا واسمه سيقوقاسيا Cis-caucasia، (٢) جنوبي غربي يعدُّونه من قارة آسيا واسمه ترانسقوقاسيا Transcaucasia، والأول منهما يشتمل على حكومات سبتاورو بول وكوبان وتيرك، والثاني يحتوي على حكومات تفليس وباطوم وأريغان وغيرها.

في القرن الماضي بعض الروايات التمثيلية اللطيفة بالأدري الشمالي، ونُقلت إليه بعض الروايات العربية الحديثة كرواية «عذراء قریش» لصديقنا المرحوم منشي «الهلal» بقلم أخوند مير محمد كريم قاضي ولاية باكو.<sup>٩</sup> ولا تُعرف أشعارُ بهذه اللغة ترتقي إلى أكثر من القرن السابع عشر للميلاد.

### (و) التركية الداغستانية

من اللغات الآوارية التركية، وهي شائعة في داغستان Daghestan، وما يجاورها من شواطئ بحر الخزر الغربية.

وقد انتشرت هذه اللغة على الخصوص في أيام الإمام شامل (شكل ٢-٢) القائد القوقاسي الشهير (وُلد في داغستان سنة ١٧٩٧، وتوفي سنة ١٨٨٠) الذي حارب الروس ودافع عن القوقاس أكثر من ٣٠ سنة أبلى فيها بلاءً حسنًا.

فُعرفت لغته هذه الداغستانية في أنحاء القوقاس، وكُتبت بها الكتب العديدة بالخط العربي في مختلف العلوم، وهم يزيّدون على أحرف الهجاء العربية هذه الأحرف:

«ج» وهي تنطق عندهم كالجيم الفارسية وكچشو.

«ژ» الرّاء بثلاث نقط فوقها، وتُنطق عندهم: إِتسو tso.

«ص» الصاد بشدة فوقها وتُنطق: «تسا».

«ث» القاف بثلاث نقط فوقها، وتُنطق كالقاف واللام.

«پ» الكاف بثلاث نقط تحتها، وتُنطق: «خها»، و«كها».

«ك» الكاف بشدة فوقها، وتُنطق: «حهي»، و«كا».

«ل» اللام بثلاث نقط تحتها، وتُنطق: كالثاء تقريبًا.

وقد دخل في هذه اللغة — فضلًا عن الكلمات التركية والفارسية — كثير من الألفاظ العربية، وعلى الأخص الكلمات الدّينية؛ فإنها فيها كما في غيرها من اللغات الإسلامية عربية مبنًى ومعنى. وقد يُحسن سكان بعض جهات داغستان التكلّم باللغة العربية الفصحى، وإن لم يكن الكثير من الداغستانيين يُحسنون التكلّم بها مصحّحة على القواعد النحوية.

<sup>٩</sup> انظر مقالتنا عن الروايات التاريخية، وروايات تاريخ الإسلام في تأبين منشي «الهلal».



شكل ٢-٢: شامل، القائد القوقاسي الشهير.

قال الرحَّالة رشاد بك في سياحته في روسيا عند الكلام على بلاد الجركس والداغستان: «ولغاتهم أكثرها لا تُقرأ ولا تُكتب، ما عدا الداغستان، فإن لغتهم لها قراءة وكتابة خاصة بها، وحروفها هي نفس حروف الهجاء العربية، ولكن من ضمن هذه الحروف حرفا لام وكاف تحت كل واحد منهما ثلاث نقط، وهذه اللغة لا تُشبه أيَّة لغة من اللغات الشرقية ولا غيرها، بل هي لغة قائمة بذاتها، وفيها كلمات عربية كثيرة، وفي العهد الأخير أسَّسوا مطابع عديدة في تيمور خان شورا مركز ولاية الداغستان تُطبع فيها

كتب ومجلات باللغة العربية الفُصحى وباللغة الداغستانية. ومن أظهر مخارج الحروف فيها (أي في لغة الجراكسة واللزجين والأبازا) الحاء والخاء والسين والشين والقاف والغين، وكل معاملاتهم وصكوكهم تُكتب باللغة العربية، وعلماءهم وأئمتهم يعرفون هذه اللغة قراءةً وكتابةً؛ لأنها لغة دينهم، وزيادة على ذلك فإن الداغستان يقرءون ويكتبون بالعربي ويتكلمون.» ويُقدَّر عدد المتكلمين باللغة الداغستانية بأقل من مليون نسمة، وهم يكتبون بالخط العربي بعد أن دخلوا في الإسلام، وكان إسلامهم في القرن الثامن للميلاد، وهناك لغة أخرى في داغستان تُكتب بالخط العربي، وهي اللغة الكومكية Kumuki، وهي تختلف عن الداغستانية اختلافاً كبيراً.

### (ز) اللغة الجركسية Teherkesses

وهي منتشرة في القوقاز بين الأمة الجركسية التي تُسمَّى نفسها بأمة «الأدغه»، وتسكن البلاد المعروفة الآن ببلاد الجركس على ضفاف نهرَي قوبان وترك وسفوح وهضاب جبال القوقاز الغربية بينها وبين البحر الأسود غرباً، وبلاد منكرليا من أعمال ولاية القوقاز الحالية جنوباً، والجركس كافة على دين الإسلام، وكتابهم هو القرآن، وكتابتهم التي يتعاملون ويتراسلون بها إلى وقتنا هذا هي باللغة العربية، وكتب دراستهم وعلومهم الشرعية والدينية عربية، ولهم في التاريخ الإسلامي شأن كبير، أنشئوا دولةً مصريةً من دُول المماليك، أمّا لغتهم الوطنية فليست لها حروف تُكتب بها؛ ولذا فهم لا يستعملونها في الكتابة، بل يستعملون العربية والأحرف العربية، كما تقدَّم.

وقد اخترع قريباً محمد كمال بك الجركسي حروفاً جديدة لكتابة اللغة الجركسية على رسم الحروف العربية، كما في الكتابة الفارسية والتركية وغيرها، مستعيناً بما في اللغتين التركية والفارسية من الحروف الزائدة، وقد حوّل بعض الحروف العربية إلى حروف جركسية بزيادة نقطة أو ثلاث نقط فوق الحرف، ووضع حروفاً جديدة خاصة باللغة الجركسية، إلّا أنّه عدّل عن اتخاذ الحركات المستعملة في العربية والفارسية والتركية (وهي الفتحة والكسرة والضمّة) ووضع لها حروفاً خاصة ألحقها بحروف العلة، ووضع حروفاً أخرى للإمالة والحركات الأخرى التي تجيء في كلمات اللغة الجركسية، فبلغت تسعة وخمسين حرفاً، منها ٢٩ عربية بما فيها «ث، ذ، ض، ع، هـ» التي لا توجد في اللغة الجركسية، ومنها ثلاثة أحرف بدل الفتح والكسر والضم، ومنها الأربعة الأحرف الفارسية، والباقي وهو ثلاث وعشرون حرفاً خاصة باللغة الجركسية وحروف العلة اثنا

عشر حرفاً، وقد بيّن ذلك في كتابه «الإلهامات القدسية في ألفبا اللغة الجركسية» الذي نشره في مصر سنة ١٣٢٨، وقد وَضَعَتْ أيضاً الجالية الداغستانية في الآستانة كتاباً لمثل هذا المقصد إلا أن طريقتها لم تنتشر.

### (ح) التركية الأنبورغية أو التركية القرغيزية

هي لهجة تترية شائعة في شمال بحر الخزر بالروسيا الأوروبية (في ولاية أرنبورغ Orenburg وغيرها) وفي غرب سيبيريا، وهي لغة القرغيز Kirgiz وقبائل القوزاق «والقوزاق كلمة تترية معناها الجريء المقدام أو البدوي»، ومنهم نوع من العساكر البرية في الجيش الروسي، وهم مسلمون ونصارى وبوذيون، فالمسلمون قوزاق الجراكسة وأورال وسيبيريا، والنصارى قوزاق الدون، والبوذيون قوزاق الموغول جهة بحيرة بيكال، وكل القوزاق شجعان بواصل أولو بأس شديد وقوة، ولهم فروسية خارقة للعادة.

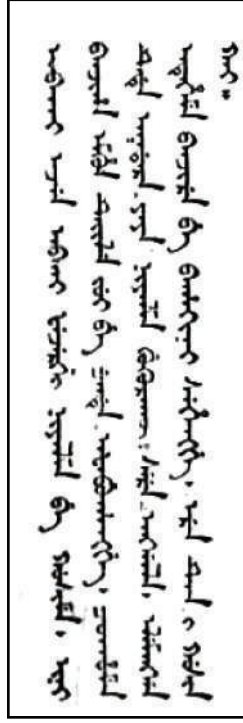
### (ط) التركية الجغتائية Jagatai Turki

التركية الجغتائية ويُسمّيها أهلها أيضاً «التركي»، فلذلك يسمّيها الإفرنج أحياناً التركية الشرقية Turc Oriental، وهي لغة التركمان وأكثر سكان بلاده خيوه (خوارزم) وبخارا وغيرها من أواسط آسيا ومركزها مدينة مرو، وهي اللغة العامّة عندهم، وذلك من القرن التاسع للهجرة؛ أي من الوقت الذي تَغَلَّبَتْ فيه على اللغة «الأويغورية» إلى الآن سواء أكانوا يتكلّمون بها عادة أم يستعملونها في الكتابة بالحروف العربية التي حَلَّتْ عندهم محل الخط الأويغوري،<sup>١٠</sup> (انظر شكل ٢-٣).

وأول كتاب دُوِّن باللغة الجغتائية «وبالخط العربي» ديوان مير علي الشهير بنواني في القرن التاسع للهجرة، وبها أَلَفَ السلطان بابر (نمر) المتوفى سنة ٩٣٧هـ، ديوانه وكتاب

---

<sup>١٠</sup> الخط الأويغوري خط اصطلاحوا على تسميته بهذا الاسم، وهو مشتق من الخط السرياني النسطوري، أَدْخَلَهُ المبشّرون النساطرة في القرن السابع للميلاد، وبتَرَكَّب من ١٤ حرفاً، وحروفه متواصلة تُكْتَبُ في أعمدة تُصَفُّ قائمة من الشمال إلى اليمين، فتأتي الأحرف مقلوبة، وبهذا الخط كُتِبَ في القرن الخامس للهجرة أول كتاب أَلَفَ باللغة الأويغورية أي كتاب «قودتغوبيك» معناه علم السياسة، ثم كُتِبَ به تأليفات أخرى، ولأن كُتِبَ بهذا الخط لغة المنشو قياصرة الصين المخلوعين بالأمس.



شكل ٢-٣: الخط الأويغوري.

أخباره المشهور باسم «بابرنامه»<sup>١١</sup> أي كتاب بابر، وبها أُلِّفَ أيضًا أبو المغازي بهادرخان سلطان خوارزم المتوفى سنة ١٠٧٤ تاريخ القتر الموسوم «بشجرة ترك».

<sup>١١</sup> السلطان بابر (نمر) فاتح مغولي من سلالة تيمورلنك، وُلِدَ في فرغانة سنة ١٤٨٢م/٨٨٧هـ وتوفي سنة ١٥٣٠م/٩٣٧هـ، بعد أن فتح أفغانستان والهند وأسس دولة مغولية توالى حكمها في الهند إلى سنة ١٨٥٧، وكان — فضلاً عن بسالته ومهارته في الحرب — كاتباً حسن الإنشاء في لغته الجغتائية، مع نكاء ودهاء، فكان يدوّن وقائعه في كتاب خاص، كما يفعل أرقى ملوك أوروبا سمّاه «بابرنامه» أي كتاب بابر، وكان لهذا الكتاب شأنٌ عند علماء التاريخ فنقلوه إلى الإنجليزية ولخصّوه ونشروه، أما الأصل الجغتائية فقد نشرته منذ سنوات قليلة لجنة تذكّار جيب الإنجليزية طبقاً للأصل الخطي (العربي) شكلاً ووضعاً أي إنهم نشروا الأصل الخطي بصورته الخطية.

### (ي) التركية التكية Tekké Turkoman

هي لغة قبيلة تكة من قبائل التركمان بالتركستان، ويُقدَّر عدد هذه القبيلة بنحو نصف مليون نفس تقريباً، وهم يستعملون كذلك اللسان الجغتائي المتقدم ذكره في الكتابة كسائر قبائل التركمان.

### (ك) التركية الأوزبكية Uzbek Turki

وهي منتشرة في التركستان الروسية بما وراء النهر، ومركزها مدينة سمرقند عاصمة تيمورلنك، وهي لغة أمة الأوزبك التركية، ويُقدَّر عدد المتكلمين بها بنحو مليون نسمة على حسب تقرير الأستاذ أرمنيوس فمبري المستشرق المجري.

### (ل) التركية الكشغرية Kashgar Turki

وهي شائعة في تركستان الصينية ومركزها مدينة كشغار، ويتكلم بها نحو عشرة ملايين من الترك تجمعهم ومسلمي روسيا أوامر اللغة «والدين» والآداب، وتُكتب بالخط العربي لغات ولهجات كثيرة أخرى متفرعة من التركية مثل «اللغة البخارية» المستعملة في بخارى و«السييرية» المستعملة في سيبيريا و«اللسان الأناضولي» المستعمل في الأناضول و«الباشكيري» المستعمل في جنوب جبال أورال و«الكراتشي» و«الدباندي» وغيره، بل إن جميع اللغات واللهجات التركية تُكتب بالخط العربي على العموم، وذلك من وقت الفتح الإسلامي لبلادهم ودخول الترك في الإسلام.

وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية في الكلام على اللغات التركية وكتاباتها<sup>١٢</sup> ما نصّه: «إنَّ حروف الهجاء العربية عامة الاستعمال في كتابة اللغات التركية، ولو أن بعض القبائل في روسيا تستعمل الحروف الروسية وأخرى في آسيا الصغرى تستعمل الحروف الأرمنية واليونانية».

<sup>١٢</sup> Encyclopedia Britannica, vol. XXIII, From page 661

### (٢-٣) اللغات الهندية

هي من اللغات الآرية<sup>١٣</sup> منتشرة في جميع الهند والسند وسيلان وملقى وغيرها، وأهمها اللغة الأوردية الهندستانية، ويُعدُّ المتكلمون بهذه اللغات بنحو ٩٦ مليون نسمة من المسلمين، ومن فروعها التي تُكتب بها:

#### (أ) اللغة الأوردية الهندستانية<sup>١٤</sup>

وتُستعمل في الهند الإنجليزية، وعلى الخصوص في المقاطعات المتوسطة، وهي اللغة الهندية الإسلامية التي يتكلم بها أكثر مسلمي الهند، وهي مأخوذة من اللسان الهندي Hindi، وهو اللسان الحديث الذي يتكلم به سكان النصف الغربي من وادي نهر الكنج الهنديين، ثم دخل فيها ألفاظ كثيرة من اللغة العربية والفارسية، وقد نشأت هذه اللغة في وقت الفتح الإسلامي للهند، وأول من تكلم بها المسلمون، وهي من ذلك الوقت تُكتب بالخط العربي.

قال الدكتور جوستاف لوبون في كتابه «سر تطوُّر الأمم»: «وأهم تلك اللغات (أي الهندية) أحدثها وهي الهندستانية؛ لأن عمرها لا يزيد على ثلاثمائة سنة، وهي مزيج من اللغتين الفارسية والعربية اللتين كان يتكلم بهما الفاتحون، ومن الهندية التي كانت أكثر اللغات انتشاراً في الأقاليم التي دخلوها، وقد نسي الغالب والمغلوب في زمن يسير لغتهما الأولى، واتخذوا اللغة الجديدة لساناً عاماً موافقاً للشعب الجديد الذي تولد من اختلاط الفريقين.»

<sup>١٣</sup> اللغات الآرية أو اللغات الهندية الأوربية، وتُدعى أيضاً: «البافثية» نسبة إلى يافث بن نوح، وتنقسم إلى جنوبية، وهي لغات جنوب آسيا، منها السنسكريتية وفروعها الهندية والفارسية والأفغانية والكردية والأرمنية وغيرها، وشمالية ومنها لغات أوروبا.

<sup>١٤</sup> الهندستانية نسبة إلى هندستان، وهو الاسم الإنجليزي للغة، والوطنيون عموماً يدعونها بالأوردو أو الأردوزبان Urduzaban أي لغة المحلة أو المعسكر؛ لأنَّ معنى كلمة «أردو» في لسان المغول هو اسم للقبيلة ومنها «الأردى» التي يستعملها الأتراك إلى الآن للدلالة على «الفيلق» المعسكر أو المحلة، وعنهم عرَّبَ المصريون لفظة: «العرضي» بالمعنى المذكور.

وقد كانت هي اللغة الوحيدة المستعملة للمخابرة بين الأوروبيين ووطنيين شمال الهند وغربها، ولكنه قلَّ استعمالها الآن لهذا الغرض لكثرة شيوع اللغة الإنجليزية هناك.<sup>١٥</sup> ويزيد الهنود على أحرف الهجاء العربي سبعة أحرف: ثلاثة هندية، وتُعرَف بذوات النُّقْط الأربعة وهي «ث» التاء بأربع نقط فوقها، وهي تُنطق بين التاء والطاء، و«د» الدال بأربع نقط فوقها، وهي تُنطق بين الدال والضاد و«ر» الراء بأربع نقط فوقها، وتُنطق بين الراء والغين، وقد يستعيز بعضهم عن الأربع النقط بعلامة تشبه الطاء أو الهمزة، ثم الأربعة الأحرف الفارسية الآتي ذكرها، فحروف الهجاء عندهم ٣٥ حرفاً،<sup>١٦</sup> واللغة الهندستانية هذه تُعرَف باللغة الهندستانية الشمالية تمييزاً لها عن اللغة الهندستانية الجنوبية المعروفة بالدكهنية، وسيأتي ذكرها.

### (ب) اللغة الأوردية

الهندستانية أيضاً، وهي تُكتَب على شكل الخط الفارسي، وتختلف عن الأولى اختلافاً بسيطاً، وهي تستعمل في شمال الهند، ومركزها مدينة دلهي العاصمة القديمة للإمبراطورية الهندية الإسلامية.

### (ج) اللغة الدكنية<sup>١٧</sup> (الدكهنية)

الدكهنية أو الهندستانية المدراسية، وهي لغة مسلمي جنوب الهند، وهي منتشرة في شبه جزيرة الدكن ومدراس، ومركزها مدينة حيدر آباد الدكن، وهي الهندستانية الجنوبية.

### (د) اللغة الكشميرية

هي شائعة في مملكة كشمير بأعالي الهند، ومركزها مدينة كشمير (سيريناغار)، ويُقدَّر المتكلِّمون بهذه اللغة بنحو ثلاثة ملايين نسمة، أكثرهم من المسلمين، وهم يكتبونها بالخط

<sup>١٥</sup> Geography of India, Burma and Ceylon; by Henry F. Blandford F.R.S. page 38, London 1894.

<sup>١٦</sup> Palmer, Simplified grammar of Hindustani, Persian and Arabic Hindustani.

<sup>١٧</sup> أصل لفظة: دكن «دكشين»، ومعناه — في لغتهم — بلاد الجنوب، فالدكهنية أي الجنوبية.

العربي منذ أوائل القرن الخامس للهجرة؛ أي بعد انتشار الإسلام بينهم على يد أمين الدولة الذي غزا كشمير سنة ٤٠٧هـ، وسكان كشمير مشهورون بالجمال وصحة الأبدان، وعدّهم العرب من أحسن خلق الله خَلْقَةً، واشتهرت بلادهم خصوصاً بضرب من الشيلان تُنسب إليها، وأكثرهم يشتغلون بحياكتها.

#### (هـ) اللغة السندية السندية Sindhi

وهي شائعة في بلاد السند، وتنقسم إلى ثلاث لهجات:

- (١) لهجة سيريكي Siraiki في السند الأعلى.
- (٢) لهجة لاري Lari في دلتا السند.
- (٣) لهجة تاريلي Thareli في صحراء التار Thar، ومركزها (أي السندية) مدينة كراتشي (قريبة من دلتا نهر السند)، وقد دخل في هذه اللغة كما دخل في غيرها كثير من الكلمات والتراكيب العربية، وهي تُكتب بالحرف النسخي، ويُقدّر عدد المتكلمين بها بنحو ثلاثة ملايين نسمة.

#### (و) اللغة الجاتكية Jatki

وهي منتشرة في المولتان وشمال بلوختان، ومركزها مدينة مولتان؛ ولذا فهي تُعرف أيضًا باللغة المولتانية Mòltàni، وهي تُكتب بالخط العربي على شكل الحرف الفارسي، واللغة الجاتكية أو المولتانية هي الفرع الجنوبي من اللسان البنجابي، وتُستعمل في جنوب بنجاب، أمّا الفرع الشمالي منه فهو اللسان الدُرْجي Dorgi، ويُستعمل في شمال بنجاب، ويُقدّر عدد المتكلمين بهاتين اللغتين بنحو ١٨ مليون نسمة تقريبًا.

#### (ز) الملاكية (الملقية)

أو لغة الملايو من اللغات الملايو بولينيزية، وهي شائعة في شبه جزيرة ملقى (ملاك)، وفي أرخبيل ماليزيا (الملايو)، وهي تُكتب بالخط العربي إلا أنها، لا تُكتب في ملقى كما تُكتب في جاوه أو سومطرة؛ لأنّ لها لهجات مختلفة، وهي اللغة المتداولة في المعاملات التجارية، خصوصًا في جزائر الملوك، وقد أثّرت مخالطة الأجانب في لغة الملايو، فاقتبست من لغاتهم

وآدابهم؛ لذلك تجد بها كلمات كثيرة من أصل هندي (سنسكريتي)، وتأثير السنسكريتية في لغة الملايو أظهر من تأثير العربية، مع أنهم أخذوا عن الإسلام كلمات عديدة أيضاً، وتجد بلغة الملايو كلمات من أصل برتقالي أثراً من فتح البرتغاليين لبلادهم.

وقد أخذ الملايو عن العرب حروف الهجاء العربي، وزادوا عليها الأصوات الخاصة بلغتهم، وهي: حرف «ج» جيم فيه ثلاث نقط، وهو يُنطقُ عندهم: «تشا»، و«غ» غين عليها ثلاث نقط، وتُنطق: «نجا»، و«ق» فاء عليها ثلاث نقط، وتُنطق: «پا»، و«ك» كاف فوقها نقطة، وتُنطق: «جا»، و«ث» نون بثلاث نقط فوقها، وتُنطق: «نيا».

ولا تهمل الكتابة العربية إلا في المبعغ شرق سومطره؛ حيث الكتابة هناك بالأحرف الهندية القديمة، وتُكتب الأعداد عند الملايو بأرقام عربية لا هندية، انظر كتاب «أمة الملايو» لصالح جودت بك.

ومن اللغات الهندية التي تُكتب بالخط العربي أيضاً «لغة الفيليبين»، وسيأتي الكلام عليها بعد.

#### (ح) اللسان الجاوي أو البيجون Javanese or Pegon

الجاوي أو البيجون: هو فرعٌ من لغة الملايو شائعٌ في جزيرة جاوه، وتختلف لهجات الجاويين فيه، فمن هذه اللهجات: «الصندية أو السندية» Sundanese، ويتكلم بها ساكنو غرب الجزيرة و«الموديرية»، وهي لغة أهل الشرق منهم ثم «الجاوية»، وهي الشائعة في وسط الجزيرة وفي أنحاء عديدة منها، ولا تزال في هذه اللهجات صبغة السنسكريتية، وللجاويين لهجة عامية يُقال لها: «نجوكو»، وهي تختلف اختلافاً بيئياً عن اللهجة الفُصحى التي يُقال لها: «الكريمة»، وهم يكتبون بهذه اللغة الكريمة قصصهم وأخبارهم وأشعارهم، وبين هاتين اللهجتين لهجة وسطى يُقال لها: «المادية»، وكتابة أهل جاوه عربية، ولكن بلغاتهم المتعددة، وهاك حروف الهجاء عندهم:

«ا» الألف: وينطقون بها: «إلب»، «ب»: ولهذا الحرف عندهم ثلاث نقط، ولكن ينطقونه مخففاً كحرف «ب» عندنا وحرف «b» الإفرنجي، «ت»، «ث»، «ج»: ينطقونه كالجيم المصرية، أو كحرف «g» في كلمة «god» الإنجليزية، «ج»: ينطقونه كحرف «ج» عند أهل الشام مسبوفاً بحرف «د»، أو كحرف «g» في كلمة «age» الإنجليزية، «حم»: ينطقونه بصوت بين الحاء والهاء، «حه»: ينطقونه كالخاء العربية ولكن بمالة الفتحة، «د»، «ذ»: ينطقونه كحرف «ج» الموضوع تحته ثلاث نقط في كلمة «چاويش»، «ر».

«ز»: ينطقونه تمامًا كحرف «j» الإنجليزي المقارب لنطق أهل الشام في حرف «ج»، «س»: يرسمونه بسنّة رابعة إن كان مفردًا، «ش»، «ص»، «ض»، «ط»، «ظ»، «عم»: ينطقونه بفتحة مماله، «غا» لا مثل لنطق هذا الحرف في اللغة العربية؛ فإنهم يأتون به من أعلى الحلق مع تحريك اللسان رأسياً، فيُشابهه الراء والغين والنون معاً، ويقرب منه نطق الراء عند الفرنسيين المتعجبين، مثلاً كلمة «أورغ» بالجاوية، ومعناها «آدمي» ينطقونها «أورغارن»، «غ» ينطقونه كالفاء العربية، «فا»، «ف» ينطقونه بين حرف «P» و«V»، «ك»: ينطقونه: «كاب» بتفخيم الكاف، «ق»: ينطقونه «قب» بالتفخيم أيضاً، «ل»، «ما»، «ن»، «ها»، «و»، «لا»: ينطقونه (لألب)، «ي».

وليس لأعداد الجاويين أرقام، بل يكتبونها بالحروف الهجائية،<sup>١٨</sup> أمّا الخط الجاوي فتُكتب به لهجة صولو Solo dialect، وهو يقرب في الرسم من ألف باء الهنود القديمة، ولكن هولنده تجتهد الآن في إبطال هذا الخط والاستعاضة عنه بالخط الإفرنجي.

### (٣-٣) اللغات الفارسية أو الإيرانية

هي من اللغات الآرية أيضاً، وشائعة في بلاد الفرس<sup>١٩</sup> وأفغانستان وكردستان وبلوخستان والبالمر، ويُقدّر عدد المتكلمين بهذه اللغات بنحو ١٦ مليون نفس أو يزيدون، ومن فروعها التي تُكتب بالخط العربي:

#### (أ) اللغة الفارسية الحديثة

هي شائعة في بلاد فارس، وهي اللغة الرسمية لحكومتها فارس وأفغانستان، وقد ظلت إلى سنة ١٨٣١م هي اللغة الإسلامية الرسمية لحكومة الهند الإنجليزية حتى استُعيض عنها

<sup>١٨</sup> «نزهة الألباب» لمحمد أفندي حسني العامري.

<sup>١٩</sup> الفُرس يُسمّون أنفسهم إيرانيين، والناس يُسمّونهم فُرساً، ويعنون بلفظ «الفُرس» عادة أكثر كثيراً من مدلوله الأصلي؛ لأنّه في الأصل اسم جزء صغير من بلاد فارس الحالية واقع بين خوزستان وكرمان، فأطلقه العرب على بلاد إيران كلها، كما أطلق الفُرس قبل ذلك اسم «العرب» على أهل جزيرة العرب كافة، وهو في الأصل اسم سكان جزئها الشمالي فقط.

باللغة الهندية الإسلامية لغة الأوردو<sup>٢٠</sup> المتقدمة، ولم تزل الفارسية لغة الطبقة الراقية في الشرق الأقصى يتخابرون بها إلى الآن.

واللغة الفارسية الحديثة هي لغة الفُرس في الإسلام فقط، أما قبل الإسلام أي في العصر الساساني، فكانت اللغة البهلوية أو الفارسية المتوسطة هي اللغة الشائعة في إيران إلى ظهور الإسلام، وبها كانت تدون كتب العلم والدين والسياسة، والفرق بينهما كثرة الألفاظ العربية التي دخلت اللغة الفارسية الحديثة بعد الإسلام، فإن ثلث كلماتها عربي الأصل.

وقد كان الفرس قبل الإسلام يكتبون بالخط الفهلوي (الآتي ذكره) الذي أُبْدِل بالخط العربي بعد رسوخ قدم العرب في فارس، فإن العرب لما فتحوا بلاد فارس في صدر الإسلام، حملوا معهم الخط الكوفي الذي كان شائعاً بينهم، فأخذ الفُرس عنهم كما أخذ كل من دخل في سلطانهم، ثم أُبْدِل الخط الكوفي بتوالي الأعوام بالخطوط المشهورة (انظر تاريخ الخط الفارسي).

ويزيد الفُرس على أحرف الهجاء العربي أربعة أحرف تُعرَف بذوات النقط الثلاث، وهي: «پ» الباء الفارسية التي تشبه حرف «P» الإفرنجي، وحرف «چ» ويُنطق: «تش»، وهي الجيم الفارسية، وحرف «ژ» ويُنطق مثل الجيم المستعملة في لسان السوريين والمغاربة أو كحرف «J» الإفرنجي، و«ك» جاف وهي الكاف الفارسية وتُنطق مثل «G» الإفرنجية، أو كجيم أهل البحرين المستعملة في القاهرة، فحروف الهجاء الفارسي تتركب الآن من ٣٢ حرفاً مع زيادة الأحرف الخاصة بالعربية السالف ذكرها (راجع: فذلكة في تاريخ الخط العربي، الأحرف الخاصة بالعربية واللغات الأخرى).

## تاريخ الخط الفارسي وفروعه

الخط الفارسي «التعليق» هو من أنواع الخطوط العربية الهامة، وقد أخذ في النمو والانتشار في أواخر القرن السادس للهجرة (الثاني عشر للميلاد تقريباً)، إلا أن ابتداء ظهوره كان بلا شك قبل ذلك العصر، وميزة هذا الخط هو ميله إلى الاتجاه من اليمين إلى اليسار ومن أعلى إلى أسفل، ذلك الميل الذي لم يعمل فقط على تطويل بعض حروفه نهائية

<sup>٢٠</sup> La position économique de L' Islam, par M. A. Le chatelier

فيه مثل «با وب وت وث وف وق وك»، بل أوجب أيضًا تغيير حرفي «س وش» إلى خط طويل منحني، وجعل لارتباط الحروف الآخر ببعضها خط يشبهه، وهذا الشكل الخاص أخذه الخط العربي طبعًا على أيدي الفُرس تحت تأثير خطهم الوطني القديم (البهلوي)، ويقول صاحب «الفهرست» في كلامه على أنواع الخطوط: إن الفُرس اشتقوا خطهم من خط القرآن المسَمَّى «بالقيراموز»، إلا أننا لا نعرف اليوم شكل هذا النوع من الخط، ولا معنى لفظه، وأقدم أثر للخط الفارسي هو عَقْد بيع تاريخه سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠-١٠١١، نشره الأستاذ مرجليوث في المجلة الآسيوية الملوكية سنة ١٩١٠ (صفحة ٧٦١ وما يتبعها)، ويتبين منه جليًا أول علامات خط التعليق، ويأتي بعده في القَدَم كتابٌ للبيهقي بخط يده وُجد في نيشابور، ويقرب تاريخه من سنة ٤٣٠هـ، وبه الميل الذي يميّز خط التعليق المتأخّر، ثم يتلوها في القَدَم أيضًا كتاب «الأبنية» للموفّق الهروي الذي تاريخه سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥-١٠٥٦م، وهو مكتوب بالخط الكوفي الفارسي، أما الطريقة الفارسية في تنقيط الأربعة الأحرف السالفة الذكر التي يزيدها الفُرس على أحرف الهجاء العربي، فإنه زاد انتشارها، وإن لم يكن استعمالها منتظمًا دائمًا، فقد كانوا أحيانًا يَهْمِلُون النقط الثلاث التي على كل حرف منها، وينطقونها كنطقها الأصلي، أي إنهم يُسْقِطُونها في الكتابة ولا يَهْمِلُونها في النطق، وفي أواخر القرن السابع (الثالث عشر للميلاد) ظهر الخط الفارسي في الكتب، ولا سيّما في كتب الدواوين والأشعار، أمّا الكتب العلمية والدينية على الأخص كالقرآن وكتب الحديث وغيره فكانت تُكْتَبُ كما في السابق بشكل خاص من الخط النسخي المستطيل، إلّا أنه مما يدعو إلى العجب أن التراجم والشروح المتأخّرة العهد التي بين سطور القرآن وهوامشه كانت تُكْتَبُ في الغالب بخط التعليق الذي كان يُعْتَبَر خطأً عاميًا.

وقد وصل الفُرس بالخط إلى درجة عالية من الإتقان والجودة، لاستعدادهم الطبيعي للفنون، إلّا أن آثارهم الكتابية في العصور القديمة قليلة العدد للأسف؛ ولذلك فيصعب الإلمام بفكرة تامّة على أعمال الخطاطين الفارسيين، ومن أشهرهم في ذلك العهد نجم الدّين أبو بكر محمد الراوندي الذي وصل في فن الخط إلى درجة أنه كان يعرف الكتابة على ٧٠ نوعًا مختلفًا،<sup>٢١</sup> أمّا الباقي الآن من المخطوطات الفارسية فأكثره متخلّف عن العصر

<sup>٢١</sup> Schefer; Tableau du règne du Sultan Sindjar Dans les nouveaux Mélanges orientaux.

المتأخر الذي ظهر في حدوده بلا شك «خط النستعليق»، وقد عرّفناه فيما سبق بالخط الفارسي المنسوخ؛ لأنه يتركب منهما كما يتكوّن منه اسمه من إدغام كلمة «نسخي» بكلمة «تعليق»، وهذا الخط هو نوع من التعليق، وليس بينهما فرق جوهري، وقد انتشر بعده للاستعمال في المعيشة العادية خط الشكستيه Shikesteh أي المكسر، وهو خط صغير رفيع وعُقدته المرتبطة ببعضها تجعله بمعزل عن كل قواعد علم الخط، كما أن خلوه من الإعجام يجعله صعب القراءة جدًّا، ويلاحظ أنه في الأزمان الحديثة أخذ في تهذيب هذا النوع من الخط، حتى تذلل صعوبة قراءته.

والفرس الحديثون يسمون «نستعليق» الخط الذي يسمّيه الأوروبيون «تعليق»، والتعليق عند الفُرس الآن هو نوع من خط التوقيع القديم المخصّص للأعمال الرسمية، ومن أنواع الخط النستعليق القديم نوعٌ يقال له: «التحريري»، وهو يُستعمل في المراسلات الآن عند الفُرس.

هذا، ومن بلاد فارس انتشر الخط العربي في شرق آسيا وشرقها الجنوبي حتى الصين، ونشر الفُرس خطهم أيضًا بين مسلمي الهند الذين يعنون باللغة الفارسية كعنايتهم باللغة العربية، والخط السائد عندهم الآن هو التعليق، أما النسخي فهو غير مستعمل عندهم إلّا في الكتب الدينية والشرعية، كما هو عند الفرس والأتراك، ومثل الهند أرخبيل الملايو فإنّه لم يدخله الإسلام إلّا على أيدي الفُرس، ثم حلّ محلّهم بعد ذلك عرب الجنوب الذين أتوا إليه بصفة تجار وملاحين في ابتداء القرون الوسطى، ثم كثرت مهاجرتهم إليه من جنوب جزيرة العرب، فأقاموا في عدة أماكن من الساحل الشمالي لجزيرة جاوه مما ساعد على سرعة انتشار الإسلام في هذه البلاد، ويظهر أنه لا يوجد هناك آثار قديمة للخط العربي، إلّا أنه يتبيّن جليًّا من الخط الحديث أنه أت من جنوب جزيرة العرب وليس من بلاد فارس، فسكان جنوب بلاد العرب وشرقيها (عُمان) هم الذين حملوا الخط إلى بلاد الملايو، كما حملوه أيضًا إلى شواطئ أفريقيا الشرقية.<sup>٢٢</sup>

## (ب) اللغة الأفغانية أو البنبتوية<sup>٢٣</sup> (البشتوية)

تُدعى أيضًا بالبختوية، وهي شائعة في مملكة أفغانستان، وتُكتب بالحرف النسخي، وحروفها أكثر من حروف اللغة الفارسية وغيرها من اللغات التي تُكتب بالخط العربي، وقد دخلها كثير من الكلمات الفارسية والعربية، وهي في غاية الخشونة، وأحسن مَنْ يتكلم بها أهل مدينة قندهار، وتوجد مؤلفات كثيرة بهذه اللغة نظمًا ونثرًا، وقبل القرن الخامس عشر للميلاد لم يكن في اللغة الأفغانية شيء من الآداب، ولكن بعد ذلك الوقت نبغ من أهلها شعراء اتَّبَعُوا في شعرهم شعراء الفُرس، فتاريخ اللغة الأفغانية قبل ذلك الوقت مُظلم؛ ولذلك يصعب معرفة الوقت الذي ابتدأت فيه كتابتها بالخط العربي، وهي على كل حال تُكتب به بعد فتوح العرب لبلادها وانتشار الإسلام بين أهلها، وذلك من قرون عديدة.

ويزيد الأفغان على حروف الهجاء العربي ١٢ حرفًا، وهي: «ت» التاء الموصولة بدائرة من أسفلها، وتُنطق عندهم مثل التاء المضعَّفة «tt»، و«خ» الحاء بنقطتين فوقها، وتُنطق مثل «tz»، أو تس «ts»، و«خ» بثلاث نقط وتُنطق مثل «dz» أو «ds». و«د» الدال الموصولة بدائرة من أسفلها وتُنطق مثل الدال المضعَّفة «dd». و«ر» الراء الموصولة بدائرة من أسفلها وتُنطق مثل الراء المضعَّفة «rr»، و«ر» بنقطتين واحدة من فوقها والأخرى من تحتها وتُنطق مثل «jz». والحرف المشروح في الهامش، و«ن» النون الموصولة بدائرة من أسفلها وتُنطق مثل الراء المضعَّفة والنون «rrn»، ثم الأربعة الأحرف الفارسية، فتكون حروف الهجاء الأفغانية أربعين حرفًا، ويُقدَّر عدد المتكلمين باللغة الأفغانية بخمسة ملايين نسمة من المسلمين.

ويستعمل أهل «اللهجات البميرية» اللغة الأفغانية في الكتابة بالخط العربي، أمَّا لهجاتهم فلا يكتبون بها مطلقًا، واللغة الأفغانية تُستعمل في الهند أيضًا، ويُقدَّر المتكلمون بها بنحو ١٠٨١٠٠٠، بخلاف اللغة الفارسية فإنها لا تُستعمل هناك إلَّا بشكل لغة أدبية أو علمية عند المسلمين.

<sup>٢٣</sup> بن: حرف يُلفظ كالشين في القسم الجنوبي الغربي من أفغانستان ومركزه مدينة قندهار، ويُلفظ كالخاء في القسم الشمالي الغربي ومركزه بيشاور؛ فلذلك تُسمَّى اللغة الأفغانية في قندهار «بشتوية» وفي بيشاور «بختوية».

## (ج) اللغة الكردية

هي لغة الكرد أو الأكراد التي نبغ من أبنائها أمثال صلاح الدين الأيوبي صاحب الفتح القدسي، وهي منتشرة في بلاد كردستان في أرمينيا وبلاد الجزيرة، ومركزها مدينة كرمنشاه Kirmanshah، وأهم لهجاتها هي اللهجة الكردية الفارسية المستعملة في بلاد فارس، واللغة الكردية تختلف باختلاف أماكن أهلها، فكم من كلمات وألفاظ تُستعمل عند طائفة ولا تُستعمل عند الأخرى، أو تُستعمل لكن مع تغيير في اللفظ أو في المعنى وهكذا، وقد دخل في اللغة الكردية كلمات وتراكيب كثيرة من العربية والفارسية والتركية، غير أنَّ الكلمات العربية فيها أعم من الفارسية، أما التركية فهي أقل منهما، ويندر أن يكون قد دخلت فيها كلمات من غير هذه اللغات الثلاث.

ويكتب الأكراد بالخط العربي من زمان بعيد، قال ضياء الدين باشا الخالدي «ولم نجد للأكراد خطاً مستقلاً، بل يكتبون بالخط العربي ما أرادوا منذ قرون عديدة»، ويزيد الأكراد على حروف الهجاء العربي خمسة أحرف وهي: «ف» الفاء بثلاث نقط، وهي تُشبه حرف «V» الإفرنجي، ثم الأربعة الأحرف الفارسية السالفة الذكر، قال ضياء الدين باشا: «ويوجد في العربية ما ليس في الكردية، وذلك ثلاثة أحرف: التاء والذال والضاد المعجمات، وأما باقي الحروف فيوجد في الكردية إلا أن حرف الظاء المعجمة لا يتلفظون به كالعرب، بل كتلفظ العامة؛ نعني من غير إخراج اللسان بين الأسنان.»

ويُقدَّر عدد المتكلمين بالكردية بنحو مليون ونصف مليون. وقد دَوَّن نحو هذه اللغة وألفاظها على حروف المعجم مع ترجمتها إلى العربية المرحوم يوسف ضياء الدين باشا الخالدي بكتاب سَمَّاه «الهدية الحميدية في نحو اللغة الكردية» سنة ١٣١٠، بعد سفره لبلاد الأكراد واشتغاله السنين الطوال بترتيب هذا القاموس.

## (د) اللغة البلوشية (البلوخستانية)

منتشرة في بلاد بلوخستان ومكران (إقليم في جنوب بلاد العجم)، وهي قريبة جداً من الفارسية الحديثة، ومن بعض لهجات اللغة الكردية، وقد دخلها من اللغات الأخرى ألفاظ كثيرة، فالمختص منها بالديانة مأخوذ من اللغة العربية، والمختص بالتجارة وبالجرَف وغيرها مأخوذ من اللغات الهندية.

ويزيد البلوخستانيون على أحرف الهجاء العربي سبعة حروف، وهي: الأربعة الأحرف الفارسية ثم الثلاثة الأحرف الهندية المتقدم ذكرها.

### (٣-٤) اللغات الأفريقية

وهي منتشرة في أفريقيا، ومن فروعها اللغات اللوبية، ومنها لغات البربر في المغرب الأقصى واللغات النوبية في بلاد النوبة والسودان المصري، ومنها الفولحية في غرب أفريقيا، واللغات الزنجية في أواسط أفريقيا وغربها في السودان الفرنسي وغانه، واللغات البانتية (البانتو) في شرق أفريقيا وجنوبها وغيرها، ومن لغاتها التي تُكتب بالخط العربي هاك أشهرها:

#### (أ) اللغة البربرية الشلحية Shilha

من اللغات الحامية، وهي لغة البربر سكان مَرَّاكُش الأصليين، وهي مستقلة بألفاظها وتراكيبها مع ما دخلها من الألفاظ العربية، وهي على قسمين: الشلحية الشمالية، وتُسمَّى بالريفية Rifi<sup>٢٤</sup> وتُستعمل عند بربر الشمال، والشلحية الجنوبية وتسمى بالسوسية Susi، وتُستعمل عند بربر الجنوب، وكلتا اللهجتين تختلفان عن بعضهما حتى في قاعدة الخط ورسم الحروف، ويُسمَّى شُلُوح (بربر) مَرَّاكُش لهجتهم باسم تمازغت،<sup>٢٥</sup> وهي أخت لهجة توارك الصحراء<sup>٢٦</sup> المسماة تماشك، وفي لغة المراكشين العربية كثير من الألفاظ البربرية، وهي عند العامة هناك فاسدة، فتغيَّرت المعاني عن حقيقة وضعها، ودخلها الانتحال والنطق بالسكان والإشمام والجزم والترخيم، وألحقوا نقطة «شي» على آخر

<sup>٢٤</sup> نسبة إلى بلاد الريف، وهي جميع سواحل البحر الأبيض المتوسط المَرَّاكُشية تقريباً من ملوية إلى تطوان.

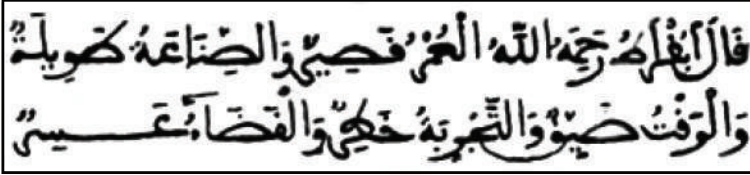
<sup>٢٥</sup> يقول مؤرِّخو البربر: إنَّ أب هذه القبائل جميعها (أي قبائل البربر) اسمه أمازيغ أو مازيغ، ومعنى ذلك: الرجل الحرُّ، وهذا اللفظ قد ذكره مؤلِّفو الإغريق والرومان، وهو لم يُعَدَّ يُعرَف إلا لدى التوارك، ومع ذلك فإنَّهم نسوا أصله إلا شُلُوح أو بربر مَرَّاكُش، فإنهم قد حفظوا أثره في كلمة تمازغت التي لا يزالون يطلقونها على لهجتهم.

<sup>٢٦</sup> قد استمر التوارك دون بقية قبائل البربر على استعمال حروف هجائية يسمونها: «تفيناج» أو «تفيناج»، وهي الكتابة البربرية التي يرجع تاريخها على الأقل إلى زمن تأسيس قرطاجة، ويقول العلماء: إنَّ هذه الحروف شكل قديم للحروف الأبجدية القرطاجية أو الفينيقيّة، وهي قريبة الشبه من الأبجدية المستعملة في الكتابات الجُمُيرية التي في الجنوب من جزيرة العرب، ولم تُكتشف هذه الكتابة إلا في سنة ١٨٢٢م فقط، وهي ناقصة الآن عندهم لخلوها من الحركات بالمرّة، (راجع كتاب «التيان في تخطيط البلدان» للأستاذ إسماعيل رأفت بك).

الأفعال، وأدخلوا كافاً على صيغة المضارع مثل كنكتب وهو دلالة على الاستمرار، وأبدلوا هاء الغائب واواً مثل كتابو أي كتابه، وذالهم دالاً وثاءهم تاءً، ومع ذلك فإن العربية الفصحى تُدرس ويتكلم بها العلماء، ويتكلم بالبربرية أقل من ثلثي السكان.

## (ب) اللغة البربرية أو القبائلية Kabyli

من اللغات الحامية، وهي لغة القبائل أو البربر سكان الجزائر الأصليين، والمراد «بالقبائل» في العُرف القبائل التي ليست عربية، وهي النازلة بالجلال القريبة من الساحل غربي مدينة الجزائر وشرقيها.

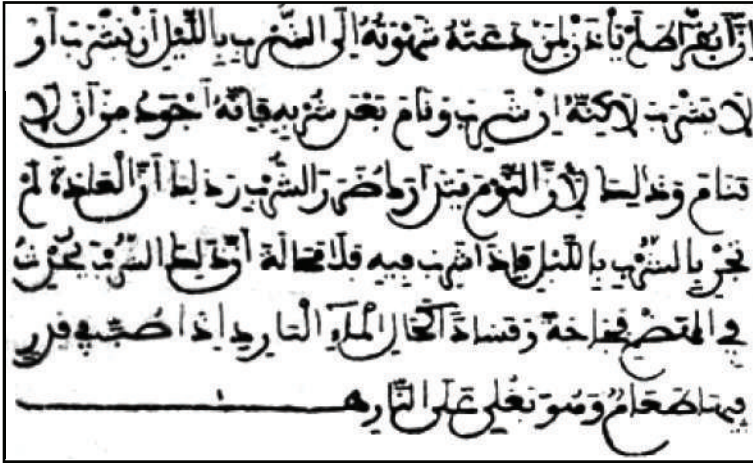


شكل ٢-٤: الكتابة المغربية الحسنة. وتُقرأ هكذا: «قَالَ ابْنُ كَرْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ الْعُمَرُ قَصِيْرُ الصَّنَاعَةِ طَوِيْلُهُ وَالْوَقْتُ صِيْقُ وَالتَّجْرِبَةُ حَطْرُ وَالْقَضَاءُ عَسْرُ».

والكلمات العربية كثيرة في اللغة القبائلية، واللغة العربية منتشرة في بلاد الجزائر أكثر من البربرية؛ لأن كثيراً من القبائل وأفخاذها الذين هم من أصل بربري قد استعملوا العربية لغة لهم دون البربرية، بخلاف القبائل العربية فإنَّ القليل منها قد استعمل البربرية لغة له مع العربية.

ومن الجدير بالذكر أنه لا يُعرَف من تأليف هذا اللسان (أي اللسان البربري) إلا حكايات وأمثال جمعها العلماء المستشرقون، وقد تَرَجَمَ بعضُ البربر القرآنَ الشريف إلى لغتهم، وأُخْرِجَت كذلك كتب الحديث والفقه من العربي إلى البربري مكتوبةً بالخط العربي في أيام الموحّدين المتسلّطين على المغرب والأندلس من سنة ٥٢٤هـ إلى سنة ٦٦٧هـ، وكره ذلك منهم القانطون في العلم ذو الغيرة على الدين، فأفَنَوْا كتبهم هذه وأبادوها ولم يُحَلِّلُوا لهم درس الحديث والفقه بغير اللغة العربية.

ويكتب أهل المغرب من البربر وغيرهم بالخط العربي منذ أواخر القرن الأول للهجرة؛ أي من الوقت الذي اعتنقوا فيه الإسلام آخر مرة، بعد أن دَوَّخوا أهلهم؛ وذلك لأن البربر قومٌ



شكل ٢-٥: الكتابة المغربية العالية. تُقرأ هكذا: «إِنَّ أَبْقَرَطَ لَمْ يَأْذَنْ لِمَنْ دَعَتْهُ شَهْوَتُهُ إِلَى الشُّرْبِ أَنْ يَشْرَبَ أَوْ لَا يَشْرَبَ، لَكِنَّهُ إِنْ شَرِبَ وَنَامَ بَعْدَ شُرْبِهِ فَإِنَّهُ أَجُودُ مِنْ أَنْ لَا يَنَامَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّوْمَ يَتَذَكَّرُ صَرَرَ الشُّرْبِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَادَةَ لَمْ تَجِرْ بِالشُّرْبِ بِاللَّيْلِ، فَإِذَا شَرِبَ فِيهِ فَلَا مَحَالَةَ أَنْ ذَلِكَ الشُّرْبُ يُحْدِثُ فِي الْهَضْمِ فَجَاجَةً وَفَسَادًا، كَحَالِ الْمَاءِ الْبَارِدِ إِذَا صُبَّ فِي قَدْرٍ فِيهَا طَعَامٌ وَهُوَ يَغْلِي عَلَى النَّارِ».

أشداء، وهم قبائل شتّى مثل قبائل العرب الرُّحْل، وقد قاسى المسلمون في إخضاعهم عذاباً شديداً؛ لأنهم ارتدّوا عن الإسلام اثنتي عشرة مرة، وثبتوا فيها كلها على عداوة المسلمين، ولم يثبت إسلامهم إلا في أيام موسى بن نصير في أواخر القرن الأول للهجرة، وللبربر فضل كبير في نشر الإسلام بأواسط أفريقيا، مثل فضل الأتراك في نشره بأواسط آسيا إلى الهند والصين؛ لأن البربر لما ثبت الإسلام فيهم نهضوا لفتح ما وراء بلادهم في أفريقيا الغربية، فنتشروا الإسلام هناك.

وأهل المغرب يكتبون القاف بصورة الفاء، والفاء بصورتها، ولكنهم يضعون نقطتها من تحت هكذا «ف»، ويصوّرون الدال والذال هكذا «د» (انظر شكل ٢-٥)، ويزيدون على أحرف الهجاء العربي: «ك» فوقها ثلاث نقط، و«ل» تحتها ثلاث نقط، و«ج» جيم فوقها ثلاث نقط، و«ف» فاء فوقها ثلاث نقط، وكلها تُلَفَّظ كالكاف الفارسية، وتُسمّى هذه الأحرف «بالجاف البربرية»، وخطهم يُسمّى بالخط المغربي، وسنأتي على تاريخه

هنا، وهم يميلون كالترك بالضاد في النطق نحو الظاء، وترتيب حروف الهجاء عندهم مخالفٌ لترتيبها عندنا (انظر: [فَذَلِكَا فِي تَارِيخِ الْخَطِ الْعَرَبِيِّ: (٤) الْأَحْرَفُ الْخَاصَّةُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَاتِ الْأُخْرَى]).

## تاريخ الخط المغربي وفروعه

الخط المغربي هو من أهم أنواع الخطوط العربية وأقدمها عهدًا وأكثرها انتشارًا، فهو منتشر الآن في جميع أنحاء أفريقيا الشمالية (غير مصر) وبعض جهاتها الوسطى والغربية، وقد كان مستعملًا في إسبانيا في القرون الوسطى (شكل ٢-٦)، ولم يزل كذلك حتى أوائل العصر الحديث، كما سيأتي في الكلام على «انتشار الخط العربي قديمًا بأوروبا».



شكل ٢-٦: الخط المغربي الأثري. هذه الكتابة مأخوذة من قصر الحمراء بالأندلس (A) (Dictionary of Islam, by T.P. Hughes P.688, London 1885)، وهاك تفسيرها: «يا وارث الأنصار لا عن كلاله تراث جلال تستخف الرواسيا».

والخط المغربي مشتقٌّ من الخط الكوفي القديم، وأقدم ما وُجد منه لا يرجع إلى ما قبل سنة ثلاثمائة للهجرة (٩١٢م)، وقد كان يُسمَّى هذا الخط «بخط القيروان» نسبةً إلى القيروان عاصمة المغرب بعد الفتح الإسلامي المؤسسة سنة ٥٠هـ/٦٧٠م، فقد اكتسبت هذه المدينة أهميةً سياسيةً كبرى عندما انفصل المغرب عن الخلافة العباسية، وصارت عاصمة الدولة الأغلبية ومركز المغرب العلمي لإنشاء جامعتها الكبرى، فتحسَّن بها الخط المغربي تحسُّينًا عظيمًا وعُرف بها.

ولما انتقلت عاصمة المغرب من القيروان إلى الأندلس ظهر فيه خط جديد سُمِّي «بالخط الأندلسي أو القرطبي»، وهو مستدير الشكل بعكس خط القيروان الذي كان مستطيله أبدًا، وقد ذكر ابن خلدون في المقدمة أنَّ الخط الأندلسي انتشر بشمال أفريقيا

فتغلَّب على الخط الأفريقي، وعفا عليه ونُسِي خط المهديّة، حتّى إذا تقلَّص ظلُّ الدولة الموحدية بعض الشيء نقص حال هذا الخط، وفسدتُ رسومه، وزاد أيضًا أنه في دولة بني مَرين «صارت الخطوط بإفريقية والمغربين مائلة إلى الرداءة بعيدة عن الجودة، وصارت الكتب إذا انتُسخت فلا فائدة تحصيل لتصفّحها منها إلّا بالعناء والمشقة؛ لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الأشكال الخطية عن الجودة، حتّى لا تكاد تُقرأ إلّا بعد عُسْر»، ويقصد ابن خلدون طبعًا بهذا الخط المتأخّر تاريخًا هو خط مَرّاكش المسمّى «بالخط الفاسي» نسبة إلى فاس ثالثة عواصم المغرب العلمية، مع أنّه لو قُورن بالخط الإسبانيولي لظهر حقيقة أنّه أردأ منه، إلّا أنّ هذا لا يمنع من أن يكون حكم ابن خلدون قاسيًا جدًّا؛ فإنَّ الخط الفاسي المستعمل في الكتب ليس فقط يمكن قراءته، بل هو جميل غالبًا.

وقد تولَّد من الخط المغربي هذا خط جديد انتشر في جميع أنحاء السودان؛ وذلك لانتشار الإسلام في تلك الأصقاع على يد أهل المغرب كما سلف، فإنَّه منذ القرن السابع للهجرة (الثالث عشر للميلاد) تمكَّن الإسلام من أن يُوجد في أواسط أفريقيا عدّة حكومات مهمة نوعًا، مركزها مدينة تمبكتو المؤسّسة سنة ٦١٠هـ/١٢١٣-١٢١٤م، فصارت هذه المدينة هي المركز العلمي الرابع للمغرب لإنشاء مدرسة عظيمة بها، وقد حفظت أهميتها هذه حتّى القرن العاشر للهجرة على الأقل، فنشأ هناك نوعٌ جديد من الخط سُمّي «بالخط التمبكتي أو السوداني»، وهو يمتاز عن غيره بكبّره وغلظه، (وتُوجد نماذج من هذا الخط ومن خط فاس أيضًا في كتاب هوداس المسمّى «بحث على الخط المغربي في المتفرقات الجديدة الشرقية»<sup>٢٧</sup> لوحة ٣ شكل ١ و٢، وأيضًا في كتاب برسنيه المسمّى «دروس اللغة العربية» ص ١٤٨ وما يليها).

فيوجد الآن في أفريقيا أربعة أنواع مختلفة من الخط المغربي وهي:

- (١) الخط التونسي: الذي يُشابه كثيرًا الخط الشرقي، غير أنه يتبع الطريقة المغربية في تنقيط الفاء والقاف، وقد مرَّ ذكرها.
- (٢) الخط الجزائري Algérienne: وهو على العموم حادُّ ذو زوايا، وصعب القراءة غالبًا.

<sup>٢٧</sup> Houdas, Essai sur l' écriture Maghrébine Dans les Nouveaux Mélanges orientaux.

Bresnier, cours langue arabe

(٣) الخط الفاسي Fezzane: الذي يمتاز صريحًا عن غيره باستدارته.  
(٤) الخط السوداني Soudanaise: وهو على العموم غليظٌ وثقيلٌ، وغالبًا ذو زوايا أكثر مما هو مستدير، وقد انتشر هذا الخط انتشارًا عظيمًا في النصف الثاني من القرن الثاني عشر بانتشار الإسلام وتقدمه بين الشعوب الزنجية في وَسَط أفريقيا، وخصوصًا الحوسة Haoussas الآتي ذكرهم، فوصل في الجهة الغربية إلى المحيط، حيث صارت مدينة لاغوس Lagos مركزًا جديدًا للإسلام، ومن الجهة الشرقية إلى مدينة واداي حيث التَقَى بالخط النسخي الآتي من مصر.<sup>٢٨</sup>

ويستخدم الجزائريون والمراكشيون الآن الأرقام الإفرنجية بدلًا من الأرقام الهندية التي يستعملها العرب، وذلك على أثر اختلاطهم بالبرتغاليين بسبب الفتوح، وقد كانوا يستخدمون الأرقام العربية قبل ذلك، ولا يُعلم متى استخدموا الأرقام الإفرنجية، ولكنهم استخدموها من عدة قرون.

### (ج) اللغة النوبية Nubian

من اللغات الليبية الإسلامية، وهي لغة البرابرة سكان وادي النيل بين الشلال الأول والرابع، والنوبة (أو البرابرة) ربما بلغ عددهم الآن أكثر من نصف مليون، وهم خليطٌ من ثلاثة أجناس: النوبة الأصليين والعرب والأتراك، وكلُّهم يتشابهون خِلْقَةً ولَوْنًا، أمَّا النوبة الأصليون فهم الآن نفرٌ قليلٌ اعتنقوا الإسلام بعد أن تغلب عليهم المسلمون سنة ٧١٧هـ/١٣١٨م، لكنهم بقوا محافظين على لغتهم، واتخذ العرب الفاتحون لغة النوبة، وكذلك فعل الأتراك، على أن العرب والأتراك منهم يتكلمون العربية أو التركية، ولكنهم يتكلمون في نطقها كما يتكلّف غريب اللغة، أما العرب الذين يتكلمون لغة النوبة فاستوطنوا البلاد بعد الفتح الإسلامي لها، وهم القسم الأكبر، وأمَّا الأتراك فهم الذين استوطنوا البلاد بعد أن فتحها السلطان سليم الفاتح سنة ١٥٢٠م، وهم أقلُّ من العرب وأكثر من النوبة، وقد بقيت البلاد في حوزتهم إلى أيام محمد علي باشا، وكان للنوبة لغتان

من أيام المقرئزي، كما ذكر في «تاريخه» ولا يزال لهم لغتان إلى الآن، فالأولى «لغة سكوت»<sup>٢٩</sup> والمحس، وهي لغة النوبة في هذين البلدين بين الشلال الثالث والسبع، والثانية «لغة أهل دنقله»، المسماة لغة فديدجا Fadidja في جنوبيهم، «والكنوز» المستعملة ببلدة الدر في شماليهم، فلغة أهل القسم الشمالي وهي لغة الكنوز مثل لغة القسم الجنوبي لغة دنقله، وكلتاها تخالف لغة القسم المتوسط بينهما وهي لغة سكوت والمحس، والفرق بين هاتين اللغتين لفظاً ومعنى كالفرق بين الفرنسية والإيطالية، وذلك الفرق آتٍ — من غير شك — من امتزاجهم واختلاطهم على نوع ما بالعنصر العربي، فإن من مخالطة النوبة للعرب ترى أكثرهم يتكلمون العربية كما يتكلمها الأعاجم.

وثلاث كلمات اللغة النوبية تقريباً عربي، وهم في الغالب يزيدون لفظة «كا» على كل كلمة عربية فيقولون في باب: «بابكا»، وفي حصير: «حصيركا»، وهكذا،<sup>٣٠</sup> ولا يُعرَف الزمن الذي ابتدؤوا فيه بكتابة لغتهم بالخط العربي، والأرجح أنه كان ذلك بعد أن اختلطوا بالعرب وشاع الإسلام بينهم، إلا أن المؤلفات في لغتهم قليلة جداً، بل نادرة.

وقد اطلعتُ على إنجيل مرقس مترجم إلى لغة فديدجا البربرية الدنقلية ومكتوب بالخط العربي، وقد طبعت هذه الترجمة جمعية الكتب المقدسة الإنجليزية في المطبعة الإنجليزية بمصر سنة ١٩٠٦م، وهاك عنوانها أمثلة لهذه اللغة: «مرقس إنجيل، إنجيل يسوع المسيح لن مرقس قايسين نقتا، مصر لي طبعكن إنجليزن كدن مطبعة لا، كتب مقدس إنجليزن جمعيتن صرف لق سنة ١٩٠٦م»، وقد زادوا في هذه الترجمة على حروف الخط العربي أربع علامات أشاروا إليها في أول الترجمة.

#### (د) اللغة الحوسية Hausa

من اللغات الزنجية، وهي شائعة في مملكة حوس (أو حوسة) من السودان الغربي بين نهر النيجر وبحيرة تشاد، وكانت عاصمة هذه المملكة الإسلامية قبل دخولها في نفوذ بريطانيا من مستعمرة النيجر هي مدينة سكُت «سقطو Sokoto» الشهيرة؛ ولذا تُسمَّى

<sup>٢٩</sup> أهل سكوت وبلادهم بين جبل دوشه والشلال الثاني عند حلفا، والمحس وبلادهم بين الشلال الثالث وجبل دوشه.

<sup>٣٠</sup> «المقتطف»: مجلد ٢٥، ص ٢٦٦.

هذه اللغة أيضًا «بلغة سقطو»، وهي مزيج من أصلين زنجي وحامي أو سامي، يتكلمها عدة ملايين غير الحوسة التي هي أكبر أمم أفريقيا اليوم وعددها نحو ١٥٠٠٠٠٠ (مليون) نسمة.

وتُعرف أمة حوسة بأنها الساعد القوي لأمة الفلاته (الفلبوسيين)، القائمة برفع راية الإسلام ونشره في تلك البقاع، والحواصة عمومًا قديمو عهد بالإسلام، ولهم حرص على نشره وتعليم لغته وخطه.

قال الكونت هنري دي كاستري في كتابه «الإسلام» (الذي ترجمه إلى العربية المرحوم أحمد فتحي زغلول باشا): «الفلبوس وهو رجل الحرب والفتوح، ولا يستقر به القرار إلا إذا آمن وتمكّن، والخواصة (الحواصة) هم أهل المعارف والعلوم في السودان، حتى كأنهم احتكروها، إلا أن علمهم قاصرٌ على شيءٍ يسير كالقراءة والكتابة في اللغة العربية، وهو كافٍ لنفوذهم في الوثنيين؛ لأنّ هؤلاء يعظمون الكاتب والقارئ إلى درجة العبادة تقريبًا. فالفلبوس هم أنصار الإسلام في الحقيقة، والحواصة منهم بمنزلة الوُعَاظ والفقهاء.» وقال العلّامة روبنسن في مقالة كتبها في مجلة القرن التاسع عشر: «ولغة حوسة مُكْتَنَبَة، وهي اللغة الوحيدة المكتتبه من لغات أفريقيا شمال خط الاستواء عدا العربية والحبشية، وحروفها هي الحروف العربية، وقد كتبوا بها تواريخ وقصصًا ودواوين، وقد أخذت الحكومة الإنجليزية تهتمّ بأمر هذه اللغة؛ لأن المتكلمين بها في البلاد التي في منطقة النفوذ البريطاني يبلغون خمسة عشر مليونًا، ولا بدّ من أن تتوحّد لغات أفريقيا يومًا ما؛ أي يموت الضعيف منها ويخلّفه القوي، فيبقى أربع لغات فقط، وهن العربية في الشمال والإنجليزية في الجنوب والسواحلية في الشرق والحوسية في الغرب، والآن إذا عرّف واحد لغة حوسة أمكنه أن يخترق أفريقيا من الغرب إلى الشرق، فيجد حيثما حلّ أناسًا يتكلم معهم من تجّار حوسة وحجّاجهم.»

واللغة الحوسية تُستعمل للمراسلات التجارية والإدارية في مملكة حوسة والبلاد المجاورة، فهي قد أصبحت عندهم لغة المخابرات السياسية كالفرنسية في أوروبا والفارسية في الشرق الأقصى، وهم يكتبونها بالنوع المعروف بالخط «السوداني أو التمبكتي» المتفرّع عن الخط المغربي، وقد تقدّم ذكره عند الكلام على الخط المغربي وفروعه (راجع: فذلكة في تاريخ الخط العربي، تاريخ الخط المغربي وفروعه).

### (هـ) اللغة السواحلية Swahili<sup>٣١</sup>

أو الجزراتية من اللغات البانتية، وهي أبعد لغة شمالاً من الفرع الشرقي للبانتو، وهي شائعة في مملكة زنجبار<sup>٣٢</sup> وما والاها من شرقي أفريقيا وجزائرها كجزائر القمر وغيرها، وكانت نتيجة انتشار الإسلام في هذا الجزء من أفريقيا أن صارت هذه اللغة عامة الاستعمال في العلاقات بين القبائل وبعضها في جميع أفريقيا الشرقية، وبصفتها لغة تجارية تُفهم على بُعد ألف فرسخ من مهدها، فإنها تُفهم في المواني والثغور الكائنة على شواطئ الصومال وعدن ومسقط إلى بومباي وناatal ومدغسكر، ثم في داخل أفريقيا فتستعمل عند شواطئ بحيرة تنجانيكا (تنجنيقا) وبحيرة نيسا وفيكتوريا نيانزا والكنغو الأسفل، فصارت لغة إلزامية لكل من أراد الدخول في علاقات مع القبائل الكائنة في تلك الجهة من أفريقيا، فهي على العموم اللغة السائدة في شرقي أفريقيا الوسطى.

والسواحليون لا يزيد عددهم عن مليون نفس، لكنهم اشتهروا بالتقدم على سائر أمم البانتو بسبب إسلامهم، وقد دخل إليهم على يد حمزة أخي الخليفة عبد الملك سنة ٨٦هـ، ونظراً لاحتكاكهم المتواصل بالعرب تعربوا بعاداتهم وديانتهم وآدابهم، وقد دخل في اللغة السواحلية كثير من الألفاظ العربية والفارسية وبعض الألفاظ الإفريقية في العهد الأخير.

### (و) اللغة الملجاشية

وهي لغة التجارة والسياسة في جزيرة مدغسكر، ولا تستعمل خارج هذه الجزيرة، وهي لغة بعض القبائل فيها فقط، غير أن سائر القبائل المدغسكية لا يستعملون لهجاتهم إلا في المحادثة فقط، فإن أرادوا الكتابة لجئوا إلى الملجاشية بالخط العربي.

<sup>٣١</sup> نسبة إلى السواحل، وهي البلاد الخاضعة لسلطان زنجار، وذلك بالنسبة إلى موقعها، ويُعرف أهلها باسم الساحليون أو السواحليون.

<sup>٣٢</sup> زنجبار: كلمة عربية الأصل، مركبة من زنج وبار أي بر الزنج أو ساحل الزنج، وبهذا الاسم كانت تُعرف عند العرب، فإنها ذُكرت في كتبهم، ورُسمت في خرائطهم باسم بر الزنج أو ساحل الزنج، أمّا اسم زنجبار فلم يأت في مؤلفاتهم، ويظهر أن هذا الاسم جديد منقول عن كتب الإفرنج، وأنهم حرّفوه عن «بر الزنج» بأن قدّموا لفظة زنج على لفظة بر، كما هي عادتهم حتى في أسماء الأشخاص، فصار زنجبر، ثم أُضيف الألف في العربية لتخفيف النطق فصار زنجبار، وذلك ما حصل أيضاً في «ملابار» ببلاد الهند وغيرها.

والملاشية واحدة في الجزيرة كلها، وحقيقتها — كما جاء في دائرة المعارف الفرنسية — أنها فرعٌ من لغة الملايو، وقد دخل فيها عدد عظيم من الكلمات والتراكيب المأخوذة عن اللغة السواحلية والعربية وعن اللهجات الأفريقية، ويُقدَّر عدد الذين يستخدمون هذه اللغة بنحو مليوني نسمة.

والخط العربي هو أهم أثر حفظه الملاش عن الإسلام، فإنَّ الإسلام لما دخل إلى مدغسكر على أيدي العرب ترك فيها آثارًا مهمة تدل على احتكاك دام مدة طويلة، فقد أثر في لغتهم تأثيرًا ظاهرًا، وخصوصًا في لهجات الأقاليم الساحلية التي اغتنَّت بالألفاظ العربية العديدة،<sup>٣٢</sup> ثم صارت تُكتب هذه اللغة بالخط العربي، وتُعرف لذلك «بالملاشية العربية Arabico-Malgaches» أي الملاشية المكتوبة بالخط العربي، وقد عم استعمال الخط العربي أولًا عند قبائل السواحل الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية، ثم انتشر في كل الجزيرة، وبالإجمال فإن القبائل الإسلامية الملاشية تلقَّفت حروف القرآن من العرب وحافظت عليها؛ وذلك لأنَّ الملاش كانوا قبل دخول الإسلام إلى بلادهم لا يستعملون الكتابة، فكانت آدابهم غير مدوَّنة، ولم تبتدئ الكتابة عندهم إلا بعد رحلات العرب إلى بلادهم.

وننقل هنا الحروف التي يزيدها الملاشيون على حروف الهجاء العربية أو التي تختلف عنها نطقًا أو كتابة عن كتابات الأستاذ جبرائيل فراند Gabriel Ferrand عن الإسلام في مدغسكر.

وهذه الحروف قسمناها إلى ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** الحروف التي يزيدها على الهجاء العربي، وهي: «رَ» أو «رْ»، «زَ» أو «زْ» بفتحتين أو بشدة عمودية أو رأسية فوقها، وهي تُنطق عندهم: «تر» أو «در»، و«ط» الطاء بنقطة تحتها، وتُنطق عندهم كالتاء.

**القسم الثاني:** الحروف التي يُغيِّرون نطقها ولا يُغيِّرون رسمها، وهي:

يكتبون «ت» التاء وينطقونها: «تس ts».

يكتبون «ج» الجيم وينطقونها: «دز dz».

<sup>٣٢</sup> وقد أسهَّبَ في بيان هذه الألفاظ الأستاذ فراند في الجزء الثالث من كتابه «الإسلام في مدغسكر».

الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي

يكتبون «ض» الضاد المعجمة وينطقونها: «ث V». يكتبون «ع» العين المهملة وينطقونها: «ن» أو «نجا» كنطق الغين بثلاث نقط «ث غ» عند الملايو.

يكتبون «ف» الفاء وينطقونها: «پ P». يكتبون «و» الواو وينطقونها: «و» أو «ث V». يكتبون «ي» ياء وينطقونها: «ي» أو «ز Z» أو «دز dz».

**القسم الثالث: الحروف التي يُغيّرون رسمها ولا يُغيّرون نطقها، وهي:**

الدال المهملة ويكتبونها هكذا: «د» وتنطق: دال.  
الصاد المهملة ويكتبونها هكذا: «ص» وتُنطق: صاد.

وهناك مخطوطات كثيرة ملجاشية مكتوبة بالخط العربي بعضها في مكتبة باريس الأهلية.<sup>٣٤</sup>

### (ز) اللغات الحبشية وغيرها

وقد انتشر الخط العربي أيضًا في بلاد الحبشة وما جاورها بانتشار الإسلام فيها، وذلك أن بعض أمراء المسلمين نزلوا الحبشة في القرون الأولى للإسلام، وأنشؤا فيها إمارات إسلامية في هرر وحماسن وجيما وأواسة وغيرها، لكنها لم يَطُل استقلالها، فذهبت، ولكن الإسلام ظلّ منتشرًا بين أهلها يزداد فيها كل يوم، ويُقدّرون عدد المسلمين هناك بثمانية ملايين نسمة.

قال صادق باشا المؤيد في كتابه «رحلة الحبش» الذي وضعه بعد عودته من سفارته ببلاد الحبشة سنة ١٩٠٨م: «ويُسمّى مسلمو الحبش هنا «جبرتي» أي الحبشي المسلم، والجبرتيون متديّنون متمسكون بعبادتهم القومية والدّينية، أصحاب عُيرة وشجاعة، ويشغلون بالتجارة والصناعة».

<sup>٣٤</sup> La légende de raminia d'après un manuscrit Arabo-Malgache, el Notes sur la tran-  
scription Arabo-Malagache, par M. G. Ferrand

والمسلمون في الحبشة وإن كانوا تحت سلطة المسيحيين إلا أنهم أرقى منهم عقلاً وأدباً، فقد كتب روبل في سياحته إلى الحبشة سنة ١٨٣٨ أن الأحباش المسلمين أقدر على العمل، وأسمى مدارك، وأكثر تهذيباً وعلماً من الأحباش المسيحيين، وقال نحو ذلك أيضاً فون هوغلين سنة ١٨٦٨ وغيره، فالمسلمون إلى الآن في بلاد الحبشة يكتبون لغاتهم أو لهجاتهم الحبشية بالخط العربي دون الخط الحبشي، كما في بلاد الشوا Shoa، وهي المملكة الجنوبية للحبشة، فإن المسلمين فيها يستعملون الخط العربي لكتابة اللغة الأمهرية Amharic الشائعة في بلاد الحبشة الآن، وكذلك الهرريون Hurari أهل مدينة هرر في شرق الحبشة، فإنهم يكتبون به لغتهم أيضاً، كما قال الدكتور كوست في كتابه «لغات أفريقيا الحديثة»: <sup>٣٥</sup> «ويكتب مسلمو الشوا اللغة الأمهرية بالخط العربي، ويستعمل الهرريون هذا الخط أيضاً لكتابة لغاتهم»، وأشار إلى كتابة هذه اللغة الأخيرة بالخط العربي أستاذنا الدكتور لتمان Enno Littmann في محاضراته قال: «وقد قرأتُ غناءً هررياً» <sup>٣٦</sup> مكتوباً بالخط العربي».

ومن الأمم الحبشية التي تستعمل الخط العربي أيضاً أمة آغو والغالا، وسيأتي ذكرها بعد.

ومما يدل على انتشاره في أفريقيا استعماله عند الأمم الكوشية، وهي: أمة البجة في جنوب النوبة، وأمة سوهو في جنوب مصوع على البحر الأحمر، وأمة دنقلي على ساحل البحر الأحمر إلى باب المندب، وأمة آغو في بلاد الحبش، وهم من أقدم قاطنيها، وأمة الغالا <sup>٣٧</sup> في

<sup>٣٥</sup> The Modern Languages of Africa by Robert Neeldham Cust, London 1883

<sup>٣٦</sup> نسبة إلى اللهجة الحبشية التي يتكلم بها العامة في مدينة هرر، وهذه اللهجة لا تستعمل إلا في هذه المدينة فقط، وليست لها حروف هجاء، فهي تكتب بالخط العربي، وأول من عرفها وأظهرها للعالم هو الكابتن بورتون Burton سنة ١٨٥٦، فقد تمكن أثناء إقامته القصيرة في هرر من جمع معجم بلغتهم، وهو يقول: إن الهررية أخت الجلاوية والصومالية والداقلية (لسان بلاد الدناقل أو عفار على ساحل البحر الأحمر) أي إنها من أصل سامي، وكلماتها وأشكال كلماتها من أصل عربي قد أتت — من غير شك — مع الدين الإسلامي.

<sup>٣٧</sup> الغالا هم أوسع الكوشيين عدداً، وكانوا يقطنون جنوب بلاد الحبش، ثم خرجوا من بلادهم ودخلوا بلاد الحبش في أوائل القرن العاشر للهجرة، وهم يدينون بعبادة الأوثان، وقد أسلم بعضهم فنشروا الإسلام بين إخوانهم، ولم يتنصر منهم إلا القليل.

جنوب بلاد الحبش، وأمة الصومال<sup>٢٨</sup> وسكانها من باب المندب وخليج عدن إلى الجنوب، فهذه الأمم الكوشية تستعمل كلها الخط العربي في الكتابة، قال الأستاذ جويدي في محاضراته: «ولا نكاد نرى من الأمم الكوشية مَنْ يميل إلى التأدّب، ويجنح إلى التعلّم، وليست لهم حروف هجاء، فلا يقرءون ولا يكتبون، ومَنْ احتاج منهم إلى تحرير مكتوب حرّره بالعربية وبأحرف عربية (نعوذ بالله من عربيتهم ومن قلمهم)»، ومثل الأمم الكوشية أهل مندينجو Mandingo بجنوب نهر غامبيا، فإنهم يستعملون الخط العربي أيضاً في الكتابة.

وهناك لغات أخرى تُكتب بالخط العربي في أفريقيا، كلغات القبائل السودانية المجاورة لبلاد الإسلام ولم تدون لغاتها، فهذه إذا كتبت فإنما تكتب بالخط العربي، قال الدكتور كوست «والخط العربي هو الوسطة الوحيدة للديانة والتجارة والمعاملات الاجتماعية للمسلمين من أول الأقاليم الوسطى الأفريقية إلى آخرها، كما أنّه في أقصى الجنوب يستعمله مهاجرو الملايو»، ويُسمّى الخط العربي في بورنو Bornu بالورش EL Warash، كما تُسمّى لهجتها العربية «بالشايقية».

جدول الأحرف التي تزيدها الأمم الإسلامية على أحرف الهجاء العربي.\*

| الحرف | نطقه               | أسماء الأمم التي تستعمله                   | الحرف | نطقه | أسماء الأمم التي تستعمله |
|-------|--------------------|--------------------------------------------|-------|------|--------------------------|
| پ     | كالباء الإفرنجية P | تُستعمل هذه الأحرف                         | چ     | تشا  | تُستعمل هذه              |
| چ     | كحرفي تش tch       | الفارسية عند الفُرس والترك والتتر والأكراد | غ     | نجا  | الأحرف عند الملايو فقط.  |
| ژ     | مثل je             | والبلوخستانيّين والهنود والأفغانيين.       | ڦ     | پا   |                          |
| گ     | كالجيم g           |                                            | ک     | جا   |                          |

\* لم نستقصِ البحث في هذا الجدول عن سائر الأحرف التي تزيدها جميع الأمم الإسلامية على حروف الهجاء العربي، وإنما اكتفينا فيه بذكر أهمها، وهو ما ورد في هذا الكتاب.

<sup>٢٨</sup> وقد ذكرنا فيما تقدّم نقلاً عن كتاب الدكتور بشارة زلزل أن الصومال يكتبون الخط العربي من أعلى إلى أسفل، وقرءونه من اليمين إلى اليسار (انظر [فذلّكة في تاريخ الخط العربي: (٥) النقط والحركات في الخط العرب: (٥-٣) الكتابة واتجاه السطور فيها]).

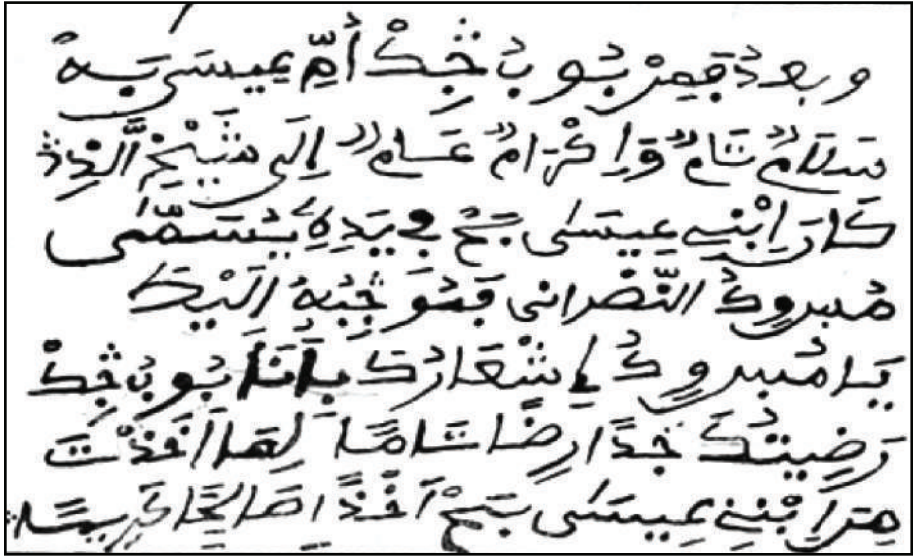
### (٣-٥) اللغة العربية

وناهيك بانتشار الخط العربي في الأقطار التي يتفاهم سكانها باللغة العربية، وهم يُقدِّرون بنحو ٦٠ مليون نفس أو يزيدون من الآسيويين والأفريقيين، وهم محصورون بين خليج العجم ودجلة<sup>٣٩</sup> في الشرق والمحيط الأطلانطيقي في الغرب، وبين البحر الأبيض المتوسط وآسيا الصُغرى شمالاً وخط الاستواء جنوباً، ويدخل في ذلك: جزيرة العرب ومصر والشام والعراق والجزيرة وبلاد المغرب في طرابلس الغرب وبُرْقة وتونس والجزائر ومَرَاكُش وفي كل الجهات الغربية من الصحراء حتى بلاد السنغال (شكل ٢-٧).

ثم في بلاد النوبة والسودان المصري وشواطئ البحر الأحمر والنيجر والسودان الغربي في وادي وبرنو وغيرها، ثم في زنجبار وفي جهات كثيرة من الصحراء وبعض شواطئ أفريقيا وجزرها وغير ذلك من البلدان التي يتكلم سكانها باللغة العربية. وعلى كل حال فإن مَنْ يتكلم العربية فيما بين نهري الفرات والنيجر يكتبها بالخط العربي.

هذا، وقد انتشر الآن في أمريكا الشمالية والجنوبية بانتشار اللغة العربية في البلدان التي استوطنتها الجالية السورية هناك، وقد أصدروا بها الجرائد العربية العديدة في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك والبرازيل والأرجنتين وغيرها، هذا إذا ضربنا صَفْحاً عمّن يتعلّمون اللغة العربية ويكتبونها بالخط العربي من المستشرقين والمشتغلين بالعلوم الشرقية ولغاتها من علماء أوروبا، ولا سيّما علماء فرنسا وألمانيا وإنجلترا وسويسرا وإيطاليا، وطلبة العلم في الجامعات والكليات الأوروبية الكبرى، وفضلاً عن ذلك كله فإنه منتشرٌ بين جميع أهل الدِّين، وطلبة العلم الذين يتكلمون العربية، ويتعلّمونها للمعاملات الدِّينية في سائر أقطار الهند والصين وإيران وما والاها من بلاد خراسان وأفغانستان وما

<sup>٣٩</sup> لا يُقال: «الدجلة» بأداة التعريف «أل»، كما لا يُقال: «فراة» بدونها، بل «الفرات»، وأغلب كُتّاب العرب يؤنثون «دجلة» باعتبار اللفظ، ويذكرونه باعتبار النهر، ويسمّى عند الآشوريين: «إيديجات»، وعند الماديين «دجل» أي السهم، وعند العبرانيين: «الداجل» أي السريع و«أدجل» و«دجلة»، وسمّاه الرومان: «دجليتوس»، وحرّفه اليونان إلى: «تجرس»، وتابّعهم الإفرنج في تسميته: «تيجر Tigre»، والأرجح أنَّ اسمه العربي مشتقٌّ من الاسم المادي أو العبري، ويُعرَف اليوم عند الأتراك وفي خرائطهم باسم: «الشط».



شكل ٢-٧: خط السنغال.

وراء النهر بتركستان وبلاد التتار في آسيا وشرقي أوروبا وجزائر الهند الشرقية وسائر البلاد التي دخلها الإسلام في القارات الخمس، ولا يقل عدد هؤلاء الأعلام الذين تَقَنَّنِي بهم الأمة الإسلامية عن مليون من النفوس هم خاصة الناس، ونقول بالإجمال: إن الكتابة بالخط العربي عامة بين سائر المسلمين الذين يقرءون كتاب الله.

#### (٤) أهمية اللغة العربية وتأثيرها في لغات العالم الإسلامي

يحسن بنا بعد أن فرغنا من بيان اللغات الإسلامية التي تُكَتَّب بالخط العربي أن نأتي على فصلٍ نُجَمِّل فيه ذكر أهمية اللغة العربية وتأثيرها في لغات العالم الإسلامي؛ وذلك لمناسبة الارتباط بين اللغة وخطها، ولنُبَيِّن أن الإسلام قد أثر في هذه الأمم الإسلامية تأثيراً شديداً، ففضلاً عن اتخاذها الخط العربي لكتابة لغاتها به، فإن هذه اللغات قد صُبِغَتْ أيضاً بصبغة عربية، كما سيظهر فيما يأتي فنقول: كانت اللغة العربية محصورة قبل الإسلام في شبه جزيرة العرب، ولم يتَّسِع نطاقها إلا منذ ظهوره، فلما انتشر الإسلام انتشرت معه؛ لأنها لغة الرسول ﷺ وأصحابه، لغة القرآن الشريف الذي كان لها قاموساً إلهياً لا تبدل

كلماته ولا تُنسخ آياته، لغة الحديث وسائر كتب الدين، فهي على العموم لغة الإسلام يجب إحيائها لإحيائه، فجعلها المسلمون الأوّلون لغة الدّين والدولة، فانتشرت في البلاد التي ساد فيها العرب أو دخلها الإسلام، وأخذت في الانتشار إلى أن ملأت الخافقين، فتغلّبت على ألسن تلك البلاد الأصلية، وأخذت تُغالب لغاتها حتى أماتتها وقامت على أزماسها، فتعرّبت بلاد العالم العربي جميعها كما بيّناه، وصارت تستعمل في المعاملات الدّينية عند المسلمين في كل العالم الإسلامي، فصاروا لا يستخدمون في الإنشاء والتأليف غيرها، وأقبل العلماء من غير العرب عليها أيّما إقبال، فبرعوا فيها حتى فاق كثير منهم العرب أنفسهم، ولا غرّو فقد ابتدأت وحدة الدّين تستدعي وحدة اللسان؛ فلذلك أصبحت العربية هي لغة المسلمين، لغة العلم عندهم والدّين، فلا يُبرز في علومه من لم يتعلّمها، ولا يفهم الكتاب والسنة من لم يُحكّم بيانها، فكانوا على اختلاف لغاتهم يتفاهمون جميع العلوم الإسلامية والآداب الدّينية بها؛ ولذلك كثرت الألفاظ والتراكيب العربية في لغاتهم جميعاً، وخصوصاً الفارسية والتركية والهندية منها، فقد اقتبست هذه اللغات من آدابها شيئاً كثيراً ينم على ما لآداب اللغة العربية عند هذه الأمم من الشّأن والمنزلة الرفيعة، فالفارسية أثرت فيها العربية بعد الإسلام أيّما تأثير، فقد ظل شعراء الفرس لا يقولون الشعر نحو قرنين إلّا بالعربية، ثم هي قد رقت الفارسية من السّذاجة التي كانت عليها البهلوية والفارسية إلى نحو أواخر القرن الرابع، أمّا التركية فقد بيّناً تأثير العربية فيها عند الكلام عليها، فليراجع هناك، ونزيد الآن أن العربية تؤلف القسم الأكبر من الأقسام الثلاثة التي تتألف منها اللغة التركية العثمانية، بل إن قواعد صرفها ونحوها هي من الأصول المتحصلة من القواعد التي اقتبسها العجم عن العرب، فلغات الأمم الإسلامية على العموم قد تأثرت تأثراً محسوساً بذلك اللسان العربي المبين فيما استعارته من الألفاظ والكلمات العربية الكثيرة، حتى لتجد هذه الكلمات شائعة ومتفشية في لغة الأوردو الهندية ولغة السواحل وغيرهم من بربر أفريقيا، بل إنه في هذه اللغات كلغة الملايو مثلاً حروف عربية لا تُستعمل إلّا لكتابة الكلمات العربية فقط.

فتأثير اللغة العربية في اللغات الإسلامية يُشبه كثيراً تأثير اللغة اللاتينية في لغات أوروبا، إلّا أن اللغة اللاتينية اندمجت ودخلت في لغات أوروبا، بل كانت العربية لهذه الشعوب الشرقية الإسلامية بمثابة اللغة اللاتينية واليونانية معاً للأمم الأوروبية المسيحية، وخصوصاً لأن المسلمين كافّة يقرءون القرآن الشريف باللغة العربية، فهي لغة كتابة عند الخاصة في كل بلد اجتمع فيها المسلمون ليتلوا القرآن العظيم.

#### (٤-١) الإحصاء

وهذا إحصاء تقريبي عن المتكلمين باللغات التي تكتب بالخط العربي الآن في أنحاء العالم:

(١) اللغات التركية: ويُقدَّر المتكلمون بها بنحو ٤٠ مليون نسمة، منهم في مملكة روسيا والصين أكثر من ٣٠ مليوناً، وفي بلاد الدولة العثمانية نحو عشرة ملايين نسمة تقريباً.

(٢) اللغات الهندية: ويُقدَّر المتكلمون بها بنحو ٩٦ مليون نسمة، منهم في الهند نحو ٦٦ مليوناً، وفي الملايو نحو ٣٠ مليوناً.

(٣) اللغات الفارسية: ويُقدَّر المتكلمون بها بنحو ١٧ مليون نسمة، منهم في فارس نحو تسعة ملايين ونصف، وفي أفغانستان خمسة ملايين، وفي كردستان مليون ونصف، وفي بلوخستان مليون فقط.

(٤) اللغات الأفريقية: ويتراوح المتكلمون باللغات التي تكتب به فيها غير العربية بين ٣٠ و ٤٠ مليوناً.

(٥) اللغة العربية: ويُقدَّر المتكلمون بها بنحو ٦٠ مليون نسمة تقريباً، فيكون المجموع نحو ٢٤٣ مليوناً من الأنفس.

أمَّا بحسب القارات فالمتكلمون باللغات التي تكتب به الآن في:

«أوروبا» نحو عشرة ملايين نسمة من التُّرك والتُّر ونحوهم.

وفي «آسيا» نحو ١٦٣ مليوناً من العرب والهنود والفُرس والتُّرك ونحوهم.

وفي «أفريقيا» نحو ٧٠ مليوناً من العرب والبربر والسودانيين والسواحليين والزنج، وغيرهم كثير ممَّا لم يُحصَ لهم عددٌ فيها، فيكون مجموع المتكلمين باللغات التي تكتب به في القارات الثلاث نحو ٢٤٣ مليوناً، فهو بالجملة غالبٌ في أفريقيا، وشائعٌ في آسيا، ومستعملٌ في أوروبا، ومعروفٌ في أمريكا وأستراليا.

#### (٥) انتشار الخط العربي قديماً في أوروبا

هذا، وقد كان الخط العربي منتشراً في الأندلس (إسبانيا والبرتغال) وقت أنْ كانت تحت حكم العرب مدة طويلة تقرب من ثمانية قرون، وكان فيها زاهياً زاهراً شأن العربية هناك وقتئذٍ، فبلغ حدَّ الإتقان والجودة.



شكل ٢-٨: كتابة كوفية أثرية مأخوذة من بناء أندلس، وهاك قراءتها: «بسم الله بركة من الله لعبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه».

ولما تلاشى مُلك العرب بها، وافترقوا في الأقطار، فانتشروا في بلاد المغرب، وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع، فغلب خطُّهم على الخط الأفريقي وعفاه، فصارت خطوط أهل المغرب كلها على الرسم الأندلسي مدة طويلة لم تزل آثاره ظاهرة فيها هناك، لأنَّ، أمَّا مَنْ بقي منهم بالأندلس فظلَّ يكتب اللغة الإسبانية القديمة بالخط العربي، وسَمَّوها باللغة «الخميدو»، كما سيأتي تفصيله بعدُ.

والعرب لم يفتتحوا الأندلس فقط، بل دخلوا أرض فرنسا أيضًا، ودخل معهم الخط العربي فيها، فتوطَّنوا جنوبها، وافتتحوا نربونة، وكانوا يسمونها: «أربونة»، وطولوز (طلوشة)، وقرقسون وسَمَّوها: «قرقشونة»، ونيم وسَمَّوها: «نيمة»، ومون بيليه، فتجاوزوا بذلك أرض سبتمانية وهي اليوم ولاية البيرينة الشرقية وولاية أود وما جاورها، ودخلوا مملكة برغونية، ثم افتتحوا مدينة أفينون وغيرها، حتى بلغوا نهر غارون وافتتحوا برود وكانوا يسمونها: «برغشت»، وأصبح ما بين مَصَبِّ غارون في المحيط وما بين مَصَبِّ الرون في البحر الأبيض المتوسط دارًا للإسلام تُلَقَّن فيه الشهادة ويُعَلِّم القرآن، ثم تجاوزوا هذا القسم العظيم من فرنسا ودخلوا مدينة إنكوليم وكونياك وبوانيه حتى وصلوا مدينة تور، وهي على نهر لوار المنصب في المحيط، وألحقوا أكثر من نصف فرنسا بممالك الدولة الأموية.

فمنتهى الحدود التي وصل إليها العرب في أوروبا هي نهر لوار ومدينة تور، وفي شرقيها مدينة ديجون ثم مدينة بزانسون، فالخط المار بهذه النقطة يقسم فرنسا إلى قسمين شمالي وجنوبي، والجنوبي بأجمعه دخل في ملك المسلمين، وأقاموا في بعضه قليلًا، وفي بعضه كثيرًا، واستسلموا كثيرًا من أهله، وتزوَّجوا ببناتهم، وأعقبوا منهم، ولم يزل لأهل الجنوب من الفرنسيين شَبُّهٌ بالعرب في سيماء الوجوه.

قال المؤرِّخ الإنجليزي جيبون في ذكر حوادث سنة ٧٤٢م: «تقدَّم العرب في أوروبا أكثر من ثلاثمائة مرحلة lieues من صخرة جبل طارق إلى مَصَبِّ نهر لوار كلها مظفریات، ولو تقدَّموا ثلاثمائة مرحلة أخرى لوصلوا حدود بولونيا في شرق أوروبا أو جبال إيقوس من إنكلترا، ولَسَهَّل عليهم عبور نهر الرين بألمانيا، كما سَهَّل عليهم عبور

الفرات والنيل، ولكان الأسطول العربي من جهة أخرى دخل نهر التيمس بلا محاربة بحرية؛ لعدم وجود أسطول إنجليزي في ذلك الوقت يُضاهي أسطول مصر وسورية أو أسطول تونس، ولرأينا اليوم العلماء يفسّرون القرآن على كراسي الوعظ معجزات النبي العربي، فالذي خلّص العالم المسيحي من ذاك هو ابن الزانية شارل مرتل ناظر سراي الملوك الفرنساويين من سلالة ميروفينجيان» اهـ.



شكل ٢-٩: شارل مارتل يحارب العرب.

وذلك أنَّ شارل المذكور لمَّا رأى المسلمين لم يَبْقَ بينهم وبين باريس إلا ٢٣٤ كيلومتراً، حشد إليه العساكر، وانتشب القتال بين الفريقين (شكل ٢-٩) في سهول بواتيه سنة ١١٤هـ/٧٣٢م، وكان النصر أولاً للمسلمين، إلَّا أنهم هُزِموا بعد ذلك، ورجعوا إلى نربون عن طريق طولوز وقرقسون؛ لرسوخ قدمهم في تلك الجهات، وعلى الخصوص في نربون التي لم يستطيع شارل إخراجهم منها، واستمرَّ العرب في جنوب فرنسا حقبةً من

الزمان يستعملون الخط العربي، لا سيَّما في أطراف مارسيليه، ولم يزل يشاهد في متحف نربون كثيرًا من آثارهم وأوانيتهم الخزفية، وإليهم تُنسب «جبال المور» كما نُسبت إليهم «قسطل سارازين»، وهي مدينة بين بوردو وطولوز، والقسطل هو الحصن أو القلعة، ولم يزل في ضواحي القدس قرية يُقال لها: القسطل، فقسطل سارازين معناها حصن العرب، ثم عادوا بعد ذلك وأغاروا على سواحل مرسيليا مرارًا وأسسوا سنة ٢٧٦هـ/ ٨٩٩م مستعمرة فراقسينه فيما بين وينييس وطولون، ومكث المسلمون في فراقسينه طول القرن العاشر، وتزوَّج بعضهم بنساء تلك الإيالة الفرنساوية، واشتغلوا بفلاحة أرضها، حتى أصبحت زاهية بحضارتهم، ثم جالوا سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م في إقليميّ تارنتيزه ووالس، ثم في بلاد السويس (سويسرا)، ومدُّوا نفوذهم سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٢م على فريجوي وطولون وجميع سواحل البحر الأبيض المتوسط في فرنسا، فضبطوا بذلك إيالة دوفينه، وهي في شمال بروفانس على ضفة الرون اليسرى، وضبطوا في شمالها أيضًا إيالة برغونية وسمَّوها: «أرض برغونة»، وإيالة فرانش كونته وإيالة فينا، وفيها هذه إيالة في وسط فرنسا الغربي بخلاف سَمِيَّتِها عاصمة النمسا والمجر، وكان حاصرَها الأتراك كما سيأتي، وضبطوا في فرنسا جميع ضفاف الرون، وغزَّوا القرى والمدن التي في تلك الإيالات.<sup>٤٠</sup>

فكانت الأفكار تُتبادل بين الفريقين، وحيث كان المسلمون في ذاك العصر أرقى حضارةً وأدبًا من جيرانهم المسيحيين، كانت الإفرنج تقتبس من معارف المسلمين، وتحصل العلم في مدارسهم وجوامعهم، كما فعل البابا سيلفستر الثاني، وقيل: إنه أول من أدخل لبلاد الإفرنج ما يسمُّونه الأرقام العربية ونسمِّيه الأرقام الهندية، وكانوا لذلك العهد يستعملون الأحرف اللاتينية التي هي بمثابة الحروف الأبجدية، واقتفى طلاب العلم أثرَ هذا البابا الحكيم، وكذا المُنتحلون منهم للشعر والأدب كانوا يقلِّدون شعراء العرب وأدباءهم، وكان المجاورون للعرب من أهالي فرنسا وشمال إسبانيا يَحِيدون عن تعلُّم أشعار اللاتين، ويكبُّون على تعلُّم أشعار العرب وأزجالهم، وكان فقراؤهم في القرن الحادي عشر ينشدون الأناشيد والمدائح العربية، وهم يستعطفون على الأبواب وفي الطرقات، فيستمع الناس لهم ويتصدَّقون عليهم، لا لفهمهم ما يقولون وإنما شوقًا منهم وحنانًا للألحان والأنغام والقوافي الرنَّانة.<sup>٤١</sup>

<sup>٤٠</sup> «تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب» للمرحوم روجي بك الخالدي بتصرف.

<sup>٤١</sup> «تاريخ علم الأدب».

وكذلك كان الخط العربي منتشرًا في صقلية (سيسليا) وما جاورها من جنوب إيطاليا نحوًا من قرنين ونصف أي من سنة ٨٣٢هـ إلى سنة ١٠٩١هـ، فإنَّ العرب مدُّوا نفوذهم عليها وحاولوا دخول أوروبا من الجنوب بطريق إيطاليا، ففتحو صقلية وجميع القسم الجنوبي من إيطاليا وكثير من مدنها، حتى حاصروا رومية، وكادوا يفتحونها واستولوا على ميناؤها أوستيه، وهي بقرب مَصَبِّ نهر التبر، وعلى بيزا Pisa ذات البرج المائل، وكانوا يُسمونها: «بيش»، وعلى جين (جنوة) التي في شمالها، واحتلُّوا سينيوم عند أسوار نابلي، واستقروا في الدالماتيا وأنشؤوا مستعمرة كاريليانو لمقاومة مملكة البابا، ورسخت للعرب قَدَمٌ في جميع هذه البلاد، واستبحر فيها عمرانهم، فنقلوا إليها عوامل تمدُّنهم من المدارس والمساجد والمعامل وغيرها.

والناظر في أرجاء صقلية اليوم يجد كل شيء فيها ذا صلة وارتباط بالعرب، فاللغة الصقلية ما هي إلا خليط من الإيطالية والعربية، والقسم الأكبر من مدائن تلك الجزيرة إنما أسماؤه عربية في الحقيقة، وإنَّ يكن قد طرأ عليها من فساد التداول ما ذهب بمسحتها العربية الأصلية، وإنَّا لنذكر منها الأسماء الآتية:

Calatafimi محرَّفة عن «قلعة فيمي»، Calatanisetta محرَّفة عن «قلعة النساء»  
Calatabellota، «قلعة البلوط»، Miselmeri «منزل الأمير»، Mezzojuzo، Mezzoioso  
«منزل يوسف»، Rasiceblo (Rasigebli) «رأس الكلب»، Mersala «مرسى علي»، وغيرها كثير.<sup>٤٢</sup>

ولم يزل في إيطاليا كثير من آثار العرب المكتوبة بالخط العربي أثرٌ لذلك الفتح، وخصوصًا في صقلية، فإنَّ آثار المساجد العديدة والقصور الجليية والأبنية الفاخرة التي ابتناها المسلمون هناك وكان لها تأثيرٌ كبيرٌ في هندسة المتأخرين، وما في خزائنها من السيوف والنقود وسائر الآلات العربية<sup>٤٣</sup> التي امتلأت بها متاحف إيطاليا، وما بقي من أحجار القبور أي «الشواهد» العديدة المكتوبة بالقلم الكوفي أو بالقلم النسخي تشهد بانتشار الخط العربي هناك وقت حكم العرب، وغلبة الصبغة العربية الإسلامية على

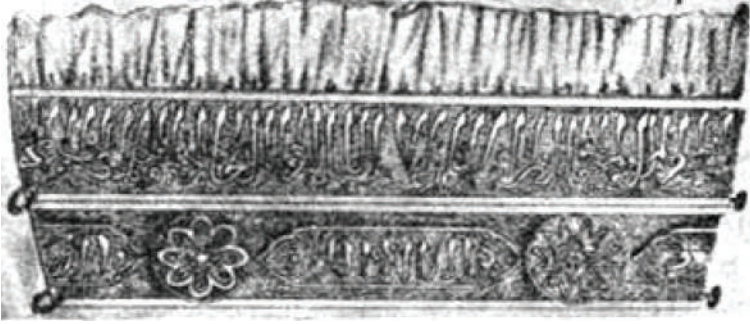
<sup>٤٢</sup> «عجالة عن بعض المدائن في صقلية» بقلم الأستاذ أحمد زكي باشا، نُشرت في المؤيِّد، عدد ٦٥٩٥، الصادر في ١٧ صفر سنة ١٣٣٠.

<sup>٤٣</sup> من تلك الآلات العربية النفيسة المصونة في خزائن إيطاليا «الإصطرلاب»، وهو آلة فلكية لقياس ارتفاع الكوكب (انظر محاضرات الأستاذ جويدي).

## انتشار الخط العربي

هذه البلاد حتى بعد الفتح النورماني الذي لم يغيّر شيئاً من صبغة ذلك التمدّن، بل ظلّ الإفرنج بعد استرداد صقلية يكتبون بالعربية «والخط العربي» على المباني العمومية والعمارات الملوكية، فكانت هي اللسان الرسمي في صقلية على عهد رجار ومَن خلفه من الملوك بعد انقراض الحكومة الإسلامية منها.<sup>٤٤</sup>

وأكبر شاهد على استعمال الخط العربي عند الإفرنج في النقوش والكتابة به على مبانيهم الملوكية في ذلك العهد كتابة عربية على قبر الإمبراطور فريديريك الثاني في بالرم بصقلية (انظر الشكل ١٠-٢).



شكل ١٠-٢: كتابة عربية على قبر فريديريك الثاني.

وهكذا كان تأثير العرب وفتوحاتهم في أوروبا، فكان لتجارّتهم فيها حركة شديدة، ولتجّارهم بها تأثير عظيم، أعرب عنه استعمال الخط العربي في أشياء رسمية في غير حكومة من حكوماتهم، وأوضحه أنّ نقود كثير من الحكومات الأوروبية نُقِشت عليها كتابات باللغة العربية «والخط العربي»، وآية ذلك أنهم وجدوا نقوداً بلغارية وألمانية ونورماندية وإنجليزية سكسونية موشاة بخطوط كوفية جميلة،<sup>٤٥</sup> فضلاً عن ذلك فإنه

<sup>٤٤</sup> «تاريخ علم الأدب» لروحي بك.

<sup>٤٥</sup> «السِّيَاح المسلمون»، وهي الخطبة التي ألقاها في الجمعية الجغرافية الخديوية الأستاذ محمود بك سالم.

وُجِدَتْ كنوز عديدة من النقود الإسلامية في كثير من الأقطار الأوروبية الشمالية، وخاصة في روسيا وألمانيا والسويد، وقد أحصى الأستاذ «تورنبرج» سنة ١٨٥٧ المحلات التي أخرجت النقود العربية (المكتوبة بالخط العربي) في بلاد السويد وحدها فبلغ عددها «١٦٩» محلاً، وأحصى الدكتور «هانس هيلد براند» سنة ١٨٧٣ قطع النقود الفضية العربية التي عثروا عليها في جزيرة جوتلاند وحدها على صغرها، فأرْبَى ما أحصاه على «١٣ ألف» قطعة.<sup>٤٦</sup>

ولم يكن الأمر قاصراً في انتشار الخط العربي على الأندلس وفرنسا وصقلية فقط، بل كان يعمُّ أيضاً جميع جزر البحر الأبيض المتوسط تقريباً، مثل: جزائر الباليار وهي ماجوركة ومينورقة وإيفيزه وما يتبعها، وكانوا يسمونها: «مايرقة ومنرقة ويابسة»، واستمروا فيها من سنة ٨٢٠م/ ٢٠٥هـ إلى سنة ١٢٣٢م، وقورسيقة، وقد بقيت مستقلة عن غيرها بالحكم إلى سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م، ومالطة وغيرها وقت حكم العرب. أما انتشار الخط العربي في أوروبا من جهة الشرق فكان ذلك في عهد الدولة العثمانية لما استولت على القسطنطينية، وهي مفتاح أوروبا، وكان العرب حاولوا مراراً دخول أوروبا من جهة الشرق بطريقها، فامتنعت عليهم، حتى فتحها الأتراك في القرن الخامس عشر، وأوغلوا في القسم الشرقي من أوروبا، فانتشروا في تلك البقاع، وانتشر معهم الخط العربي فيها لكتابة لغتهم الرسمية والدينية (أي التركية والعربية)، وسار مع فتوحاتهم حتى وصلوا مدينة فيينا عاصمة النمسا وحاصروها، وأقاموا عساكرهم المظفرة على أبوابها، وأخذوا الجزية من الأرشيدوق فردينان، ثم عادوا واقتنعوا بجزيرة البلقان وما جاورها، فبقي الخط العربي مستعملاً في أملاكهم في أوروبا، وهو الخط الرسمي للحكومة مدة كبيرة تقرب من أربعة قرون ونصف.

وقد بلغت المملكة العثمانية معظم اتساعها في أواسط القرن السابع عشر للميلاد، فكانت حدودها الشمالية آخر حدود المجر في أوروبا، وكانت أملاكها في تلك القارة تشمل بلاد اليونان وجميع جزر بحر إيجه والرومي والبوسنة والهرسك والصرب والجبل الأسود وبلغاريا والمجر ورومانيا (الفلاخ والبغدان) وما يلي بلاد المجر شرقاً من ملدافيا وما

<sup>٤٦</sup> «السِّيَاحُ المسلمون»، وهي الخطبة التي ألقاها في الجمعية الجغرافية الخديوية الأستاذ محمود بك سالم.



شكل ٢-١١: السلطان محمد الفاتح وقت دخول القسطنطينية.

بعدها من شواطئ البحر الأسود إلى بلاد القوقاس، ففي كل هذه الولايات استعمل الخط العربي، وبقي في بعضها كثيراً وفي بعضها قليلاً، وكانت تُكتب به لغات الوطنيين ممَّن أسلموا، ولم يزل مستعملاً هناك حتى ضَعُف شأنُها، وطمع جيرانها بها، فخرج بعضُها بالاستقلال، ودخل البعض الآخر في حوزة بعض الدول أو تحت سيطرتها بالاحتلال، إلى أن انحصر في أملاكها الآن فيما بين الآستانة وولاية أدرنة وما جاورهما، وترك العثمانيون فيما انسلخ عنهم من هذه الولايات آثاراً عديدة، فقد استسلموا كثيراً من أهلها يُعدُّون الآن بأكثر من ٤ ملايين نسمة في بلاد اليونان ومكدونيا وألبانيا وبلغاريا والصرب والجبل الأسود ورومانيا والبوسنة والهرسك.

وذلك أن العثمانيين لما افتتحو هذه البلاد، نزلها كثير من العرب والأكراد وبعض العشائر المغولية التي سقطت إلى هذه الأرجاء وتوطَّنت فيها، كما توطَّنت أيضاً كثيرٌ

من أولاد الفاتحين وغيرهم من المجاهدين أتباع بكوات الرومي، فانتشروا في تلك الديار، وامتزجوا بأهالي البلاد الأصليين أي بالبلغاريين والصربيين والأرناؤود والبوشناق، فأخذ هؤلاء يدينون بالإسلام حتى أصبح نحو نصف سكان الأقطار الواسعة من المسلمين، واضطر أولئك المسلمون إلى تعلُّم أمور دينهم، وبهذه الوسطة انتشر اللسان العثماني، وتغلَّب الفكر الديني على الجنسي، وأنشأ أولئك الشعوب يعتقدون بأن السلطنة العثمانية حامية الدين وسلامتها سلامة لهم في الدارين، وبفضل هذا الاعتقاد غدا أهالي البوسنة المسلمون خاضعين للحكومة النمسية وهم لا يقلُّون عن ٦١٢٠٠٠ نسمة ينظرون إلى النمسيين نظر الأعداء مع أنهم من دم واحد.

ومثل ذلك قلَّ في البوماقيين والجتاقين، وغيرهم من سكان بلغاريا ممَّن يَرَوْنَ السلافيين أعداءهم على حين هم وإياهم من أصل واحد، وهؤلاء يستعملون الخط العربي إلى الآن، وقد اشتهر منهم كثيرٌ من الخطاطين البارعين يُعَدُّون في العُرف أتراكا؛ لأنَّ بعضهم تتركَّ، ولا عجب إذا قلَّدوا الأتراك في جودة الخط، فقد أخذوه عنهم، وهم أصحاب الفضل في نشره في تلك الأصقاع، وإليهم انتهت الرئاسة فيه على أنواعه إلى عهدنا هذا (انظر [فذلْكة في تاريخ الخط العربي: (٢) تاريخ الخط العربي بعد الإسلام: (٢-١) أصناف الأقلام العربية في الإسلام]).

## (٦) النتيجة

فَمِنْ كل ما تقدَّم نستنتج أنَّ الخط العربي انتشر بانتشار الحضارة الإسلامية في طوائف اللغات المرتقية البشرية الثلاث، وهي: السامية والطورانية والآرية، أمَّا «الطائفة الأولى»: وهي اللغات السامية،<sup>٤٧</sup> فأهمهما اللغة العربية، ومعلوم أنَّ انتشارها وتغلُّبها على أخواتها أمَّات بعضها وأضعف الآخر، و«الطائفة الثانية»: وهي اللغات الطورانية أهمها التركية، وجميعها تُكْتَب بالخط العربي كما سبق، و«الطائفة الثالثة»: وهي اللغات الآرية وهي

<sup>٤٧</sup> السامية نسبة إلى سام بن نوح، وهي اللغات التي يتكلَّم بها نسله، وأول مَنْ أطلق عليها هذا الاسم في أوروبا هو عالمٌ من العلماء المستشرقين الألمانين في القرن الثامن عشر للميلاد، حيث سمَّى كل اللغات القريبة من اللغة العبرية «باللغات السامية»، وقد بقيت هذه التسمية مرعية إلى الآن، واللغات السامية تنقسم إلى قسمين شرقي وغربي، فالقسم الشرقي يشمل البابلية والآشورية، والقسم الغربي

## انتشار الخط العربي

جنوبية وشمالية، فالجنوبية في الهند وفارس، وهي تُكْتَب بالخط العربي إلا اللغة السنسكريتية<sup>٤٨</sup> اللغة المقدسة عند البراهمة وبعض لغات الهند وجزائرها.

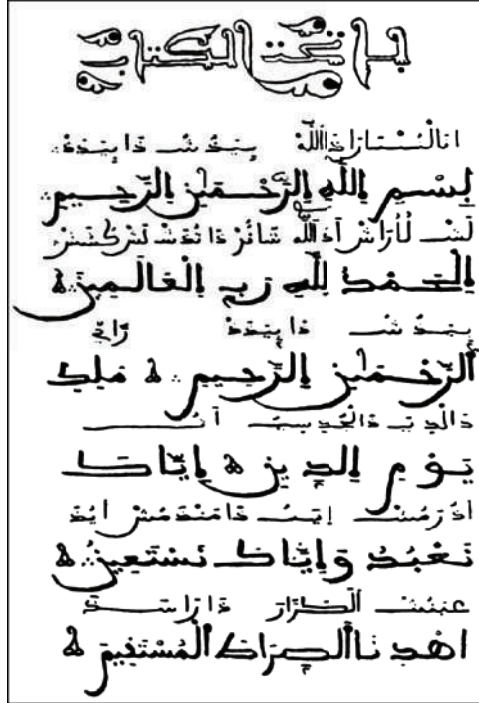
وأما الشمالية فهي المعروفة بالهندوأوروبية، وتشتمل على لغات أوروبا وقسم عظيم من أمريكا، فإنها تُكْتَب بالخط الإفرنجي المعروف.

على قسمين شمالي وجنوبي، فالشمالي يشمل العربية والفينيقيّة والآرامية، والجنوبي يشمل العربية والجُمُريّة والحبشيّة، ولكل لغةٍ من هذه اللغات فروع ولهجات تراها في هذا الجدول:

جدول اللغات السامية: وهذا هو جدول اللغات السامية ولهجاتها نقلاً عن محاضرات أستاذنا الدكتور لتمان في علم مقارنة اللغات السامية:

| القسم الغربي      |                 |                |            | القسم الشرقي |        |                 |             |
|-------------------|-----------------|----------------|------------|--------------|--------|-----------------|-------------|
| الشمالي           |                 | الجنوبي        |            | الجنوبي      |        | البابلي الآشوري |             |
| الكنعاني<br>(وهو) | الآرامي         | عربي           | حبشي       |              |        |                 |             |
| الغربي<br>(وهو)   | الشرقي<br>(وهو) | شمالي<br>(وهو) | جنوبي      | القديم       | الجديد |                 |             |
|                   |                 |                |            | جزر          | جنوبي  | شمالي           |             |
| المختص            | اليهودي البابلي | لحياني         | القديم     | الجديد       | (وهو)  | (وهو)           | فينيقي      |
| عبري              | المانوي         | ثمودي          | (وهو)      | (وهو)        | أمحري  | تجرنيا          | عبري        |
| موآبي             | السرياني، ومنه  | صفوي           | مَعِينِي   | مهري         |        | تجري            | التدُمري    |
|                   | يعقوبي          | عربي نبطي      | سَبْئِي    | شحري         |        |                 | النبطي      |
|                   | ونسطوري         | عربي فصيح      | قَتْبَانِي | سقطري        |        |                 | (الفلسطيني) |
| يهودي ونصراني     |                 |                | حَضْرَمِي  |              |        |                 |             |
| وسامري            |                 |                |            |              |        |                 |             |

٤٨ اللغة السنسكريتية: هي لغة الهنود القديمة، وهذه اللغة لا يتكلمون بها الآن، ولكن كتب علومهم الروحية مكتوبةً بها، وفيها مُشابهةٌ غريبة لبعض لغات أوروبا دالة على اشتقاق اللغات من أصل واحد، وهي أصل لغات الهند، ومعنى سنسكريت اللغة التامة أو المَهْدبة.



شكل ٢-١٢: الخميادو (الإسبانيولي). صفحة من فاتحة الكتاب بالعربية وترجمتها بالأعجمية (الخميادو). (من مجموعة نشرها بصورتها الخطية المسيو بابلوجيل Pablo gil في سرقوسة ١٨٨٨ تحت عنوان Collection de Textos Aljamidos، وقد صدرها بمقدمة بالإسبانيولية، ثم أردفها باصطلاحات الخميادو في الكتابة.)

## (٦-١) الخط العربي واللغات الأوروبية

«اللغة الإسبانيولية»: وقد دخل الخط العربي في هذا القسم الأخير أيضاً في اللغة الإسبانيولية قديماً، فقد كان بعض العرب حينما دالت دولتهم بالأندلس يكتب علومه ومعارفه، ومنها الفقه والحديث والتصوف وقصص الصالحين، بل وترجمة القرآن بحروف عربية (شكل ٢-١٢)، والكلام كله إسبانيولي قديم (قشتالي)، وهؤلاء العرب كانوا يفعلون ذلك؛ لأنهم — كما يقول بعض المستشرقين — دانوا بالنصرانية مُكرهين بعد زوال دولتهم في الأندلس، فلم يكونوا يستطيعون إبداء أسفهم إلا سراً، وفي هذه الكتب العربية المكتوبة بالعجمية دليل على تعلُّق أولئك المنتصرة بقدمهم، ولا تزال بقايا هذه الكتب محفوظة

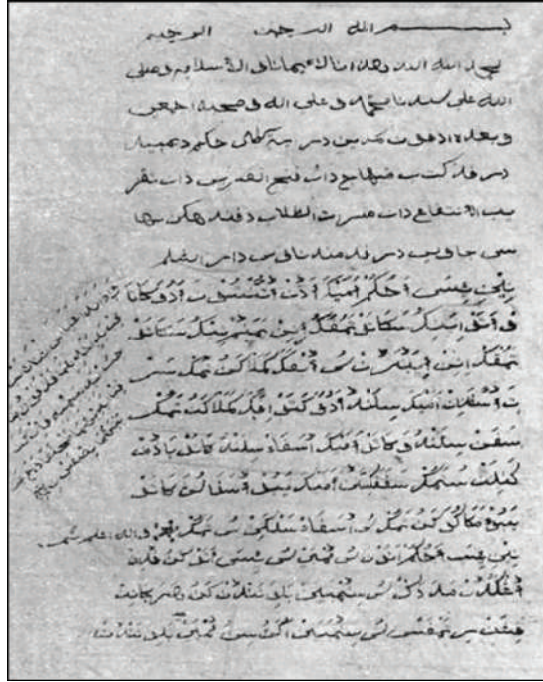
في مكاتب إسبانيا، وقد طبع القوم منها أشياء كثيرة، وتُسَمَّى هذه اللغة الخميادو Aljamiado تحريفًا للكلمة «الأعجمية»، ووجه هذه التسمية أنَّ العرب يسمون كل ما ليس بعربي أعجميًا، وجرى على منوالهم الأندلسيون، فكانوا يُسمُّون اللغة القشتالية أي الإسبانية باسم الأعجمية، ثم انتقلت هذه اللفظة إلى اللغة الإسبانية بغير حرف العين؛ لأنَّ العين ليست في لغات الإفرنج، وكذلك الهمزة المتوسطة، فاضطروا أن ينطقوها «ألجمي» ثم تداولوها فقالوا: «ألجمي» بسكون اللام والإسبانويون ينطقون الجيم خاءً في أحيان كثيرة، فقالوا: «ألخمي»، ثم أضافوا إليها علامة النسبة عندهم do فقالوا Aljamiado أي «الأعجمي»، وكُتبت اللغة البرتغالية بالخط العربي، وسُمِّيت أيضًا بالخمياودو البرتغالي Aljamia Portuguesa.<sup>٤٩</sup>

«اللغة الهولندية»: وقد دخل كذلك في اللغة الهولندية الآن، فإنَّ المسلمين في مستعمرة الكاب بجنوب أفريقيا يكتبون الهولندية بالخط العربي، وقد طبعوا به كتبًا دينية كثيرة. وهؤلاء المسلمون هم من مهاجري الملايو (انظر [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: (ز) اللغات الحبشية وغيرها]).

«اللغة السلافية»: وقد دخل أيضًا اللغة السلافية، فإنَّ مسلمي البوسنة والهرسك، وهم لا يِقْلُون — كما أسلفنا — عن ٦١٢٠٠٠ نسمة يكتبون به الآن لغتهم الوطنية «السلافية»، وقد كانوا قبل الاحتلال النمساوي لبلادهم يكتبون بالعربية أو التركية لاختلاطهم بالأتراك وبالحياة العقلية التركية، ولكنهم بعد ذلك صاروا يستعملون لغتهم الوطنية في الأعمال العلمية والأدبية.

وقد نشأت حركة في السنوات الأخيرة، وخصوصًا بين وسط «الخوجات» غرضها جعل الأبحاث الأدبية في المواضيع الدينية تُكْتَب على الأقل باللغة السلافية والحروف العربية، وقد جعلوا حروف الهجاء العربية تُناسِب حاجيات اللغة السلافية، وجريدة «معلم» لسان حال جمعية اتحاد علماء وأئمة ساراييفو تظهر بهذا الخط.

<sup>٤٩</sup> انظر تاريخ البرتغال في ملبار المسمَّى: «تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتگاليين»، تأليف الفقيه الشيخ زين الدِّين المطبوع في لسبونه ١٨٩٨، فإنَّ به كلامًا طويلًا على الخميادو البرتغالي والإسباني وتاريخه، وقطع منه كل ذلك باللغة البرتغالية والعربية.



شكل ٢-١٣: لغة مجندناو بالخط العربي. الصفحة الأولى من كتاب اللواران أو قوانين مجندناو.

## (٢-٦) الخط العربي ولغة الفيليبين

وكذلك المورو Moros أي المغاربة، وهم مسلمو الفيليبين،<sup>٥٠</sup> فإنهم يستعملون الخط العربي في كتابة لغة مجندناو Magindanao وصولو Sulu حتى الآن، (ومعنى مجندناو البلاد المروية؛ لأنَّ فيها نهراً يفيض عليها ويرويها، فأُطلق هذا الاسم على البلاد وعلى سكانها)، ومن أهم ما كُتب عندهم بلغة مجندناو وبأحرف عربية هي التراسيل، وهي

<sup>٥٠</sup> الفيليبين اسم لجزائر كبيرة شمال أرخبيل الملايو، وقد كانت تُسمَّى قبلاً: «جزائر ماجلاني» نسبةً إلى مكتشفها ماجلان الرحالة الشهير وتذكراً لوفاته فيها، ولكن لما زارها الأميرال فيلالوبوس سمّاها الفيليبين باسم فيليب الثاني ملك إسبانيا.

عندهم كشجرة الأنساب عندنا، ولم توضع التراسيل عندهم إلا بعد دخول الإسلام إلى بلادهم؛ لأنَّ الإسلام لما جاء إلى هذه الجزائر جاء معه العلم والعمران، فانتظمت الأحوال، ودُوِّنت التواريخ، ووُضعت التراسيل، وأخذوا حروف الهجاء العربية، أمَّا قبل الإسلام فكان تاريخهم خُرافياً بالمرّة، وكان بدء دخول الإسلام إلى بلادهم نحو سنة ١٤٧٥ ميلادية.



شكل ٢-١٤: صورة صفحتين من كتاب دعوات المسلمين. مطبوع في كانتون بالصين.

وقد كتب المورو بلغتهم وبالخط العربي (فضلاً عن التراسيل) كلّ كتبهم الدّينية والشرعية الإسلامية التي أخذوها عن العرب والملايو، ومن ذلك القرآن وتفسيره والحديث وكتب الشرع، والقوانين التي يُسمونها: «اللواران Luwaran» (شكل ٢-١٣) أي المختارة، وكتب القوانين بلهجة الصولو، وخطب الأعياد والجُمع الدّينية إلى غير ذلك، مما يدل على انتشار الخط العربي في هذه الأنحاء.

وقد فصل ذلك الدكتور نجيب صليبي في كتبه التي كتبها عن جزائر الفيليبين، وعلى الأخص في كتابه «أبحاث في تاريخ المورو وشريعتهم وديانتهم».<sup>٥١</sup>

«الخط العربي في الصين»: والمسلمون في الصين يستعملون الخط العربي من زمان بعيد في كتابة النصوص الدينية العربية وغير العربية كالقرآن وترجماته وكتب الحديث

<sup>٥١</sup> Studies in Moro history, law, and religion, By Najeeb M. Saleeby. Manila 1905



شكل ٢-١٥: مسجد في الصين يصلي فيه جماعة من المسلمين الصينيين بأزيائهم الوطنية، وعلى أعمدته كتابات عربية وآيات قرآنية بالخط العربي.

والفقه (شكل ٢-١٤)، كما يستعملونه أيضاً في كتابة ما يؤلفونه منها بلغاتهم، فقد اقتنى الأستاذ هرتمن Hartmann سنة ١٩٠٢ نسخة خطية من كتاب اسمه «مختصر الأحكام الإسلامية»، وجدها في مدينة كشغار بتركستان الصينية، ولغة هذه النسخة هي لهجة من لهجات الصين الشمالية تقرب من لهجة بكين مع إدراج بعض العبارات العربية والفارسية في المتن مكتوبة بالخط العربي وزيادة الأربعة الأحرف الفارسية وحرفين جديدين، وهما «ض و ص»، وقد نشر الأستاذ فكره هذا الكتاب بالحروف الإفرنجية! وبالحروف الصينية وزيّله بترجمة ألمانية.

ورغمًا عن قَدَم الإسلام والخط العربي في الصين، وكثرة عدد المسلمين الصينيين فإنه لا توجد آثار قديمة كثيرة للخط العربي هناك، وأقدم ما وُجد من آثاره هي الكتابة العربية المنقوشة على مسجد مدينة كنتون القديم سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م، وهي تنصُّ على أنَّ البناء الأصلي شُيِّد في أيام تسون كوان من العائلة الطائية Tsön-Kwan des Than، أمَّا الكتابات العربية التي تُوْجَد على آنية الصين البرنزية القديمة فيصعب تعيين تاريخها بالضبط، وهي على العموم لا ترجع إلى ما قبل القرن التاسع للهجرة، ولم يبتدئ مسلمو الصين في «الكتابة» والطبع إلا حديثًا، وهم يستعملون للطباعة لوحات خشبية مصقولة تبعًا للطريقة القديمة التي كانت مستعملة في أول عهد المطابع، (شكل ٢-١٤ و ٢-١٦) وقد يُغيَّر النقش في هذه الطريقة شكل الخط قليلًا.



شكل ٢-١٦: صفحة بالعربية والصينية مطبوعة في كانتون بالصين على طريقة الطباعة على الخشب المصقول، ويظهر منها الشكل الذي أخذه الخط العربي على أيديهم تحت تأثير خطهم الصيني، حتى أصبح (بألفاته ولاماته) أشبه شيء بالخط المسماري الذي كانت تكتب به اللغة البابلية والآشورية في العراق وأكثر الممالك القديمة.

## الفصل الثالث

# الأديان ومحافظة الأمم على الخطوط

إنَّ محافظة المسلمين على الخط العربي في أنحاء العالم وكتابتهم به لغاتهم ليس أمراً خاصاً بهم لا مثيل له عند غيرهم من الأمم، بل يكاد يكون عامّاً عند أهل الأديان الأخرى من أهل الكتاب وغيرهم في كل الأزمان، فإنَّنا نرى اليهود من وقت تفرُّقهم إلى الآن يتخذون لغة البلد الذي يستوطنونه لغةً لهم فيكتبونها بخطهم العبري كما يكتبون اليوم اللغة العربية واللغة الفارسية واللغات الإفرنجية كالألمانية والإسبانية وغيرها بالخط العبري،<sup>١</sup> وينشرون به الكتب والجرائد في كثير من المدن الكبيرة، كما نرى في الآستانة، فإنه تصدر فيها جرائد إسبانية حرفها عبراني، وهكذا في نيويورك جرائد ألمانية حرفها عبراني، بل وللآن تصدر في تونس جرائد عربية بلهجة تونس العامية حرفها عبراني، واليهود في مصر وسوريا وغيرها يكتبون اللغة العربية بالحرف العبري من قديم، كما

---

<sup>١</sup> ويُسمَّى الأوروبيون هذا النوع من الكتابة باسم Judæo-Arabic، أي الإسرائيلية العربية علماً على كتابة اليهود في مصر وسوريا وغيرها اللغة العربية بخطهم العبري، و Judæo-Persian علماً على اللغة الإسرائيلية الفارسية، وهي لغة فارسية ممزوجة قليلاً بألفاظ عبرانية ومكتوبة بحروف عبرية، وهي لهجة يهود فارس، و Judæo-German علماً على كتابة اليهود الألمانين اللغة الألمانية بالخط العبراني، وقد حَظَرَتْ عليهم الحكومة الألمانية استعمال هذه الكتابة في الحسابات والأشغال التجارية، و Judæo-Spanish لكتابة اليهود الإسبانين في تركيا وغيرها، و Judæo-Tunisian لكتابة اليهود في تونس والجزائر وطرابلس اللغة العربية العامية بخطهم العبري.

في مؤلفات موسى بن ميمون<sup>٢</sup> (شكل ٣-١) وترجمة التوراة لسعيد الفيومي<sup>٣</sup>، وغيرهما، ويستعمل اليهود القراءون في القديم هذه الحروف أيضًا في كتابة التركية وهي اللغة الدارجة بينهم، فترى من ذلك أنهم حافظوا على خطهم ولم يحافظوا على لغتهم. وكذلك عند النصارى، فإنَّ السريان في الشام والجزيرة لما دخل الإسلام بلادهم، وغلبت اللغة العربية على ألسنتهم ظلُّوا حينًا يكتبونها بالحرف السرياني الذي كانوا يكتبون به لغتهم الأصلية ويُسمُّون هذه الكتابة «بالقلم الكرشوني Carshùn»، ولم يكن استعمال هذا القلم محصورًا في المارونيين واليعاقبة فقط، بل قد امتدَّ استعماله أيضًا إلى الملكيين، وقد طبعوا به كتبًا عديدة منها الإنجيل، وبين أيدينا نسخة منه طُبعت في باريس سنة ١٨٢٧ على هذا الشكل.

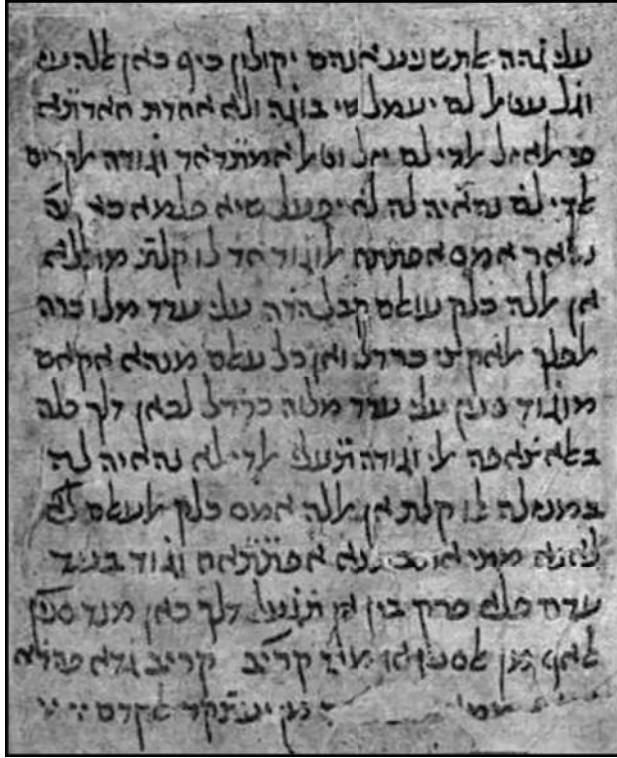
وكذلك الأرمن واليونان في الآستانة وفي البلاد العثمانية الآن، فإنَّهم يُصدِّرون فيها جرائد حرفها أرمني ولغتها تركية، وأخرى رومية حرفها يوناني ولفظها تركي، ولهم أدبيات أرمنية تركية وأدبيات يونانية تركية؛ وسبب ذلك أنهم جميعًا يعرفون اللغة التركية، ويتجنَّبون الخط العربي، فيضطرون إلى كتابة التركية بخطوطهم الوطنية التي يتمسَّكون بها بسبب الدِّين.

وهذا النوع الأخير، وهو كتابة اللغة التركية بالحروف اليونانية شائعٌ ومستفيضٌ إلى الآن في مطبوعات الآستانة الدِّينية التي يستعملها القرمنليون المقيمون بآسيا الصغرى،

---

<sup>٢</sup> هو الرئيس أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي، يهودي عالم بسنن اليهود، كما قال ابن أبي أصيبعة، ويُعَدُّ من أبحارهم وفضلائهم، وكان رئيسًا عليهم في الديار المصرية، وهو أوَّحد زمانه في صناعة الطب وفي أعمالها، متفنَّن في العلوم، وله معرفة جيدة بالفلسفة، وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدِّين يرى له ويستطبُّه، وكذلك ولده الملك الأفضل علي، انظر ترجمته في «طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة، و«أخبار الحكماء» لابن القفطي، وفي الإنسكلوبيديا البريطانية، وقد جاء فيها أنَّه وُلد بقرطبة سنة ١١٣٥م، وكانت في أوَّج مجدها، وفي سنة ١١٦٥ انتقل إلى مصر، واتصل بخدمة السلطان صلاح الدِّين.

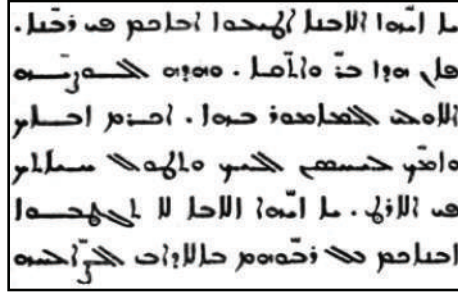
<sup>٣</sup> إنَّ ترجمة سعيد بن يعقوب الفيومي للتوراة إلى العربية قد طُبعت الأسفار الخمسة منها في الآستانة بالعربية وبالأحرف العبرانية سنة ١٥٤٦م، مع ترجمات أخرى وعُرفت هذه الطبعة باسم: «تراغلو»، ويظن أنَّ ترجمته هذه هي أقدم الترجمات العربية، ولكن في مكتبة الفاتيكان برومية نسخة خطية للعهد القديم بالعبرانية والسامرية غير كاملة مع ترجماتها بالعربية مكتوبة بأحرف سامرية مؤرَّخة في القرن السابع للميلاد، ولا دليل على أنَّها من ترجمات ذلك القرن.



شكل ٣-١: صفحة من كتاب فلسفي لموسى بن ميمون. الكلام عربي والحروف عبرية.

فإنهم يستعملون التركية والأحرف اليونانية لكتابة كتبهم المقدسة، مع أنه ليس في عروقهم من الدم اليوناني ما لا يزيد على وجه التقريب عمّا في عروق السوريين الملكيين، ولكن البطريركية العامة تبذل جهدها في أن تُعَدَّ نفسها يونانية الأصل.<sup>٤</sup> وكذلك الكاثوليك اللاتينيون المقيمين بالبلغار، فإنهم يستعملون البلغاري مكتوبًا بالحروف اللاتينية بدل الحروف البلغارية.

<sup>٤</sup> Charon, Le Rite Byzantin, Rome 1908



شكل ٣-٢: الخط الكرشوني. قطعة من الإنجيل، الكلام عربي والحروف سريانية، وتقرأ هكذا: «يا أيها الأبناء أطيعوا أبائكم في ربنا فإن هذا بر وأتقى، وهذه الوصية الأولى المأمور بها أكرم أباك وأمك ليحسن إليك وتطول حياتك في الأرض، يا أيها الآباء لا تغضبوا أبناءكم بل ربوهم بالآداب الصالحة.»

وكما كان عند كُهان مصر من الوثنيين، فإنَّهم كانوا يعدُّون الحرف الصوري (الهيروغليفي)<sup>٥</sup> مقدَّساً، فينقشون به صلواتهم أو آثارهم مع وجود الحرف الديموطيقي<sup>٦</sup>، وهو أخفُّ على الأيدي.

<sup>٥</sup> هذا اللفظ الذي أطلقه اليونان على الحروف التي كان يستعملها قدماء المصريين، وهو لفظ يوناني مركب من «هيروس» بمعنى الشيء المقدَّس، و«غليفاؤس» بمعنى أنقش، ومضمون ذلك: «أنقش الشيء المقدَّس» أو «الحروف المقدَّسة»، وقد بقيت هذه التسمية مرعيةً إلى الآن، وكانت الكتابة الهيروغليفية تحتوي على علامات تمثل أناساً وحيوانات وأشياء مادية وغير ذلك تدل على الحروف (السكنة والمتحركة)، وتحتوي أيضاً على إشارات صورية لها معانٍ قائمة بنفسها مستقلة بها، مثال ذلك أنهم كانوا يعبرون عن مصر العليا «بنبات البردي»؛ لكثرة فيها على عهدهم، وعن مصر السفلى «بنبات البشنين» لكثرة فيها كذلك، وكانوا يستعملون في أمورهم العادية «الخط الهيراطيقي» من ابتداء القرن السابع قبل الميلاد، وهذا القلم هو عبارة عن أشكال مختصرة ورموز مختزلة من العلامات الهيروغليفية.

<sup>٦</sup> القلم الديموطيقي أي القلم العامي، وهو مختصر من القلم الهيراطيقي، لكنه في غاية السهولة، وقد قام شيئاً فشيئاً مقام الهيراطيقي في أيام العائلة السادسة عشرة، وصار في أيام اليونان مستعملاً في الأمور المعتادة، ومن هذا الخط أخذت الأمم كلها حروف الهجاء عن يد الفينيقيين، ثم زال استعمال هذه الأقلام الثلاثة عندما دخلت الديانة النصرانية في البلاد المصرية، واستبدلت بحروف الهجاء القبطية المركبة من ألف باء اليونانية، ومن ستة حروف توافق بعض أصوات مصرية ليس في اليونانية ما يعبر

وكما عند البوذيين الآن، فإنَّهم في شمال آسيا يؤثرون القلم التبتى، وفي جنوبها القلم البالي بالنسبة إلى أحد آلهة الهنود.

وكما عند المجوس من أتباع زرادشت، فإن القلم الفهلوي (البهلوي) لا يزال شائعاً ومستعملاً لتدوين كتب الدِّين عندهم، والزرادشتيون يَعُدُّون اللسان الفهلوي أيضاً لساناً مقدَّساً؛ لأنه لغة دينهم فيفضلون تدوينه به، وقد أسلفنا في الكلام على اللغة الفارسية أنَّ اللسان الفهلوي أخذ بالزوال أمام العربية شيئاً فشيئاً حتى ذهب عن الألسنة، ولكنه ظلَّ في الكتب، ولا سيَّما كتب الدِّين القديم على مذهب الزرادشتية.

وأمثلة ذلك كثيرة عند الأمم، ولا عجب؛ فإنَّ كثيراً من الأمم، ولا سيَّما أهل الأديان منهم يتبرَّكون بالخط الذي كانت تُكتب به لغة دينهم، ويَعُدُّونه أثراً دينياً، إنَّ لم يعتبروه جزءاً من الدِّين، فهم يحافظون عليه أكثر من محافظة بعضهم على لغته (كما رأيت عند اليهود وغيرهم)، ويؤثرونه على غيره من الأقلام التي كانوا يستعملونها قبل اعتناقهم أديانهم، فيثول الأمر إلى إماتة تلك الخطوط، ولكي يتبين جلياً أنَّ الدِّين من أقوى الأسباب الفاعلة في انتشار الخطوط واللغات واندثارها، وإحيائها إمامتها، نأتي هنا على ذكر الخطوط التي ماتت بانتشار الخط العربي ونَتَّبِعُه باللغات التي ماتت بانتشار اللغة العربية.

عنها؛ وذلك لأنَّ النصرانية جاءت إلى مصر على يد اليونان، فكانت اللغة اليونانية تُعدُّ لغة دينية عند الأقباط، كما هي عند غيرهم، فشاعت حروفها بينهم وحلَّت محلَّ أقلامهم، وكذلك الإسلام فإنَّه انتشر على أيدي العرب فكانت العربية هي لغته، وخطُّها هو خطُّه في كل البلاد الإسلامية، ومن جملة مصر فوثر فيها آثار النصرانية، ونعني بها القلم القبطي ولغته، كما ورثت هذه قبل ذلك آثار الوثنية أي الهيروغليفية والهيراطيقي والديموطيقي، فيظهر من ذلك أنَّ للأديان سراً عجبياً، إذا انتشر دينٌ أبطل كلَّ ما كان شائعاً قبله، فنسخه ونسخت آثاره آثار سلفه، وهكذا الحال في الدول، فإنَّنا نرى الدولة إذا تغلَّبت على دولة أخرى تعمل على هدم آثارها، وما شيدته من التمدُّن وغيره، وتبني لنفسها تمدُّناً وأثاراً أخرى، فيقضي على الدولة المغلوبة ناموس النسخ والحلول، فيتمثَّل أهلها بالفتاح ويتشبَّهون به، وهذه سُنَّة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.



## الفصل الرابع

# الخطوط التي ورثها الخط العربي

كان سكان العالم الإسلامي قبل أن يفتحه المسلمون يكتبون بخطوط البلاد الأصلية، ويتكلمون لغاتها السريانية والآرامية واليونانية في العراق والشام، والقبطية بمصر، والفارسية في بلاد فارس، والتركية في التركستان بما وراء النهر، والبربرية في شمال أفريقيا، فلمَّا جاء الإسلام أخذ العنصر العربي يتغلَّب على عناصرهم، والخط العربي يتغلَّب على خطوطهم، واللغة العربية تتغلَّب على ألسنتهم، والإسلام يتغلَّب على أديانهم، حتى ساد الإسلام عليهم جميعًا، وانتشر الخط العربي بينهم، وعمَّت اللغة العربية البلاد الواقعة غربي دجلة وهي العراق والشام ومصر وأفريقيا والسودان، وصارت تُعدُّ بلادًا عربية وأكثرها مسلمون، وانقرضت الخطوط واللغات التي كانت منتشرة فيها إلَّا بقايا قليلة من السريانية في بعض القرى المتباعدة من الشام والعراق، أمَّا شرقي دجلة بفارس والتركستان والهند فقد ساد الإسلام فيها أيضًا، وانتشرت اللغة العربية بين أهل العلم، ولكن ألسنة البلاد ظلَّت حيةً يتفاهمون بها إلى الآن، أمَّا الخط العربي فقد انتشر بالإسلام بين الجميع، وإليك مجمل انتشاره، وذكر الخطوط الذي ورثها في سَيرِهِ.

لَمَّا انتشر الخط العربي مع الإسلام في جزيرة العرب ورثَ فيها جملة خطوط أو حلَّ محلَّها، أشهرها «الخط المسند» الذي كانت تكتب به اللغة الحِميرية في اليمن، و«القلم النبطي» وكانت تكتب به اللغة النبطية في الشمال، و«القلم الصفوي» وكانت تكتب به الصفوية وغيره، كما ورثت اللغة العربية فيها اللغة الحِميرية واللهجة الحَضَرَمية

والقبتانية، وغيرها في جنوبيها، واللغة النبطية<sup>١</sup> واللهجات الصفوية والشمودية واللحيانية، وغيرها في شمالها.

ولما انتشر في مصر ورث «القلم القبطي» المشتق من القلم اليوناني، كما ورثت اللغة العربية اللغة القبطية فيها، وذلك أنه في سنة ٨٧هـ في عهد عبد الله بن عبد الملك أمير مصر من قبل الوليد بن عبد الملك نُقل ديوان مصر من القبطية إلى العربية، وجُعِلت الكتابة في جميع دواوينها باللغة العربية (وبالخط العربي بالطبع)، فبادت القبطية في مصر شيئاً فشيئاً، حتى نسيَتها العامة القبطية تماماً، فصارت لغةً صناعيةً لا تُستعمل إلا في بعض الكنائس القبطية، قال المسيو ماسبيرو في كتابه «تاريخ المشرق»: «وقد استمر استعمال اللغة عند الأهالي مدة عشرة قرون بعد تلاشي الكتابة بها، ولم ينعِم اللسان القبطي من أفواه الأمة إلا في السنين الأولى من القرن السابع عشر»، وهكذا ورث الخط العربي ولغته في مصر الخط القبطي ولغته، كما ورث في المغرب القلم البربري عند قبائل البربر الشمالية.

ولما انتشر في فارس ورث القلم البهلوي<sup>٢</sup> كما ورثت اللغة العربية اللغة البهلوية، وكانت هي اللغة الشائعة في إيران إلى وقت الفتح الإسلامي، وهي تُسمى أيضاً باللغة الفارسية الوسطى تمييزاً لها عن الفارسية القديمة وعن الفارسية الحديثة التي يتكلم بها الفُرس الآن، وقد سبق ذكرها.

<sup>١</sup> نسبة إلى النبط أو الأنباط الذين اتَّسَعَتْ مملكتهم في أرض الحجاز الشمالية إلى حدود فلسطين ونواحي دمشق، وصارت سنة ١٠٥م ولاية رومانية اسمها: Provincia Arabia أي الإيالة العربية، وبقِيَتْ على ذلك إلى ظهور الإسلام، وهم غير النُّبُط أو النُّبَيْط — كما قال أستاذنا الدكتور نلينو — الذين هم في اصطلاح العرب في القرون الأولى للإسلام اسم أهل الحضر المتكلمين باللغات الآرامية الساكنين في الشام، وخصوصاً في بلاد ما بين النهرين.

<sup>٢</sup> البهلوي أو الفهلوي نسبة إلى بَهْلُو (فهلا)، وهي البقعة التي فيها همذان وأصفهان وآذربيجان والري وماه نهلوند وغيرها، وكانت حروف الهجاء البهلوية تتركَّب من ٢٤ حرفاً، وكان له شكلان يُعرَف أحدهما بالبهلوي الساساني، والآخر بالبهلوي الآرامي (انظر شكل ٤-١)، وله فروع أخرى يختلف كلُّ منها عن الآخر كاختلاف الخط الثُلُث عندنا عن الرُّقعة أو النسخ باختلاف الأعصر أو الغرض منها، فالحرف البهلوي الذي يُقَش على النقود يختلف عن الذي يُقَش على الأحجار، وهذا يختلف عن حرف الكتب، وهكذا، ومن كلمة «بهلوي» اشتُقَّت كلمة بهلوان بتخريج لا محلَّ لتفصيله هنا.

## الخطوط التي ورثها الخط العربي

| الآرامي | الساساني |
|---------|----------|
| لا      | لا       |
| ب       | ب        |
| ج       | ج        |
| د       | د        |
| هـ      | هـ       |
| و       | و        |
| ز       | ز        |
| ح       | ح        |
| ط       | ط        |
| ي       | ي        |
| ك       | ك        |
| ل       | ل        |
| م       | م        |
| ن       | ن        |
| ف       | ف        |
| ر       | ر        |
| س       | س        |
| ش       | ش        |
| تش      | تش       |

شكل ٤-١: الخط البهلوي الساساني والآرامي.

ولما انتشر في سوريا ورث جملة خطوط، منها القلم الروماني واليوناني عند الحكومة، والقلم السرياني والسامري، وأضعفَ القلم العربي عند الأهالي، كما ورثت اللغة العربية فيها اللغة اليونانية واللاتينية الرسميتين واللغة السامرية وغيرها من اللهجات الآرامية الغربية عند الشعب كاللهجة النصرانية الفلسطينية.

ولما انتشر في بلاد الجزيرة والعراق ورث الخطوط الآرامية كالسرياني وغيره، كما ورثت اللغة العربية فيها اللغة السريانية وغيرها من اللهجات الآرامية الشرقية كالأرامية المانوية (لغة أتباع ماني) والآرامية اليهودية البابلية، وعلى الجملة فالخط العربي واللغة

العربية ورثا في سوريا والعراق وما يليهما الخطوط واللهجات الآرامية الشرقية والغربية، كما ورثت اللغة الآرامية وخطها من قبل كثيرًا من الخطوط واللغات الشرقية القديمة كالخط الفينيقي والخط المسماري الذي كان شائعًا في أكثر الممالك القديمة، وكاللغة البابلية والآشورية والعبرية والفينيقية وغيرها.

ولما انتشر في بلاد الهند ورث فيها الخطوط الهندية المتفرعة من الخط الآرامي،<sup>٢</sup> وقد كانت هذه الخطوط الهندية هي المستعملة في الأصقاع الهندية إلى الفتح الإسلامي، فأخذ الخط العربي في الانتشار هناك حتى تغلب عليها وأماتها، كما تغلب على الخط الأويغوري عند الأتراك (انظر: [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تكتب الآن بالخط العربي: (٣-١) اللغات التركية: Jagatai Turki (ط) التركية الجغتائية]).

فمن كل ذلك يظهر لنا جليًا ما أشرنا إليه في تمهيدنا السابق، وهو أن اللغة العربية كانت تسير في نموها وانتشارها مع فتوحات العرب، فأين حلَّ العرب، حلَّت لغتهم، وأبادت اللغة الأصلية للإقليم الجديد كما رأيت، وكذلك الخط العربي، فقد كان يسير في انتشاره معها جنبًا لجنب، ولكنه تجاوزها وسار مع الإسلام، فأين حلَّ الإسلام حلَّ الخط العربي، وأباد خط الإقليم الجديد الإسلامي، وهذه الخصيصة لم توجد إلا في اللغة العربية وخطها، وذلك — كما قلنا — بفضل الإسلام، فكم من أمة علا شأنها في مجتمع الأمم ودوّخت البلدان، ولم تستطع أن تُقيم للغتها أو لخطها شأنًا، وبقي هذا الشأن بعدها إلى الآن:

ما عَلِمْنَا لغيرهم من لسان      زالَ أهلوه وهُوَ في إقبال  
بليتْ هاشمٌ وبادتْ نزارُ      واللسانُ المبينُ ليس ببالٍ

قال الدكتور جوستاف لوبون Dr. Gustave Le Bon في كتابه «حضارة العرب»: «أهالت القرون على العرب غبارَ الزوال، وأدرجت حضارتهم في أكفان التاريخ، فلم يبقَ

<sup>٢</sup> يظهر لأول وهلة فرقٌ كبير بين هذه الحروف والحرف الآرامي، ولكن لهم على إثبات اشتقاقها منه (أي من الخط الآرامي) أدلة واضحة جليّة لا يسعنا المقام لاستيفائها، فلذلك أبحاث لا محل لها هنا.

<sup>٤</sup> لشاعر مصر «أحمد شوقي بك».

<sup>٥</sup> G. Le Bon, La Civilisation des Arabes

منها إلّا سيرئُها العِطْرة، وأنثُرُها المائِل، ولكنَّ زَوَالَهُم هذا لم يكن موتًا سَالِبًا لِلرُّوح، ومُورِدًا لِلجسدِ مَوَارِدَ الفسادِ والفناء؛ لأنَّ الدِّينَ واللُّغَةَ التي قام بها العرب ببنئُهما في أرجاء العالم، أصبحتا لعهدنا الحاضر أكثرَ انتشارًا منهما أيام كانت الحضارة العربية متألِّقة السَّنا، فإنَّ اللُّغَةَ العربية يتكلَّم بها الصادر والوارد، والغادي والرائح، بين مَرَاكُش والهند، كما أنَّ الدِّينَ الإسلامي لا يزال نِطاقَهُ يزداد كل يوم تَراميًا إلى أبعدِ الآفاق والأقطار.»

وهيهات أن يتسنَّى ذلك لأحدٍ من الشعوب الحاضرة أو المُقبِلة، وسرعان ما كانت الجماعات المندمجة في العرب أو المعتنقة للإسلام تتناسى لغتَها، وتُهمل خطَّها، وتأخذ عن الإسلام لغتَه أو خطَّه ما خلا بضعة أصقاعٍ انتشر فيها الإسلام، ولم يُفسَح للعرب أجُلٌ حتى ينشروا فيها لغتهم أو خطهم ليُسَتمَعلا فيها لغير الأشياء الدِّينية حتى لا يجعلوا مُستثنى لهذه القاعدة.



## الخلاصة

يتبين للقارئ اللبيب مما ذكرناه عن انتشار الخط العربي أنه لم يكن معروفاً قبل الإسلام إلا عند أفراد قليلين جداً في الحجاز، وكان غير مضبوط عندهم حتى جاء الإسلام فأحياه ونشره بين المسلمين بعد أن ترقى ونما، فتفرعت منه الفروع، وضبط بالنقط والشكل الكامل، وحينئذ أخذ ينتشر في غير جزيرة العرب بانتشار الإسلام على هذا الترتيب:

**أولاً:** في البلدان الإسلامية المعروفة بالعالم العربي الذي يتكلم أهله باللغة العربية ويقدرّون بأكثر من ٦٠ مليوناً من الأنفس.

**ثانياً:** في البلدان الإسلامية التي لأهلها لغات حيّة تُعرف بلغات العالم الإسلامي، فإنها أخذت تُكتب به دون غيره، وقد قسمنا هذه اللغات إلى أربع مجاميع:

**المجموعة الأولى:** وهي اللغات التركية، وقد ذكرنا منها أكثر من ١٢ لغة تُكتب به في بقاع تمتد من تركستان الصينية إلى غربي الأستانة والبحر الأسود.

**المجموعة الثانية:** وهي اللغات الهندية، وذكرنا منها ٨ لغات تُكتب به، تشتمل على ماليزيا وملقى، ثم تمتد من شرق الهند إلى غرب السند، ومن أعالي جبال حملايا إلى جنوب شبه جزيرة الدكن.

**المجموعة الثالثة:** وهي اللغات الفارسية، وتُكتب به منها ٤ لغات تشتمل على كل هضبة إيران.

**ثم المجموعة الرابعة:** وهي اللغات الأفريقية، ويُكتب به منها أكثر من ٧ لغات متفرقة في شمالي أفريقيا وغربيها، وتشتمل على شرقيها وأواسطها، فاللغات التي تُكتب به في

## انتشار الخط العربي

هذه الأربعة المجاميع تبلغ ٣١ إحدى وثلاثين لغةً، وبإضافة اللغة العربية إليها يُقدَّر عدد المتكلمين بهنَّ جميعاً بنحو ٢٤٣ مليون نسمة، وعلى الجملة فإنه انتشر بين سائر الأمم الإسلامية، فصارت تُكتب به لغة كلِّ بلد انتشر فيها الإسلام.

انتهى والحمد لله.

## المصادر

فهرست أسماء الكتب العربية والإفرنجية التي وردت في هذا الكتاب وهوامشه مرتبةً بحسب ذكرها في الصفحات:

أدبيات الجغرافيا والتاريخ عند العرب للأستاذ جويدي [فَذَلْكَ في تاريخ الخط العربي: (١) العرب والكتابة قبل الإسلام: (١-١) أصل الخط العربي: (أ) أمثلة من اشتقاق الحروف العربية] و[الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَبُ الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: (ز) اللغات الحبشية وغيرها] و[الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٥) انتشار الخط العربي قديماً في أوروبا].

كشف الظنون لحاجي خليفة [فَذَلْكَ في تاريخ الخط العربي: (٢) تاريخ الخط العربي بعد الإسلام: (١-٢) أصناف الأقلام العربية في الإسلام].  
صُبْحُ الأعشى للقلقشندي [فَذَلْكَ في تاريخ الخط العربي: (٢) تاريخ الخط العربي بعد الإسلام: (١-٢) أصناف الأقلام العربية في الإسلام] و[فَذَلْكَ في تاريخ الخط العربي: (٥) النُّقْط والحركات في الخط العربي: (٣-٥) الكتابة واتجاه السطور فيها].

دائرة المعارف الإسلامية Encyclopédie de l' Islam [فَذَلْكَ في تاريخ الخط العربي: (٢) تاريخ الخط العربي بعد الإسلام: (٢-٢) الأقلام المستعملة الآن] و[الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَبُ الآن بالخط العربي: (٣-٣) اللغات الفارسية أو الإيرانية: (أ) اللغة الفارسية الحديثة : تاريخ الخط الفارسي وفروعه] و[الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم

- الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: Kabyli (ب) اللغة البربرية أو القبائلية : تاريخ الخط المغربي وفروعه].  
تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية لحفني بك ناصف [فَذَلْكَ في تاريخ الخط العربي: (٥) النُّقْط والحركات في الخط العربي: (٥-١) الحركات].  
الكتابة والكُتَاب للشهيد [فَذَلْكَ في تاريخ الخط العربي: (٥) النُّقْط والحركات في الخط العربي: (٥-٣) الكتابة واتجاه السطور فيها].  
تنوير الأذهان في علم حياة الحيوان والإنسان [فَذَلْكَ في تاريخ الخط العربي: (٥) النُّقْط والحركات في الخط العربي: (٥-٣) الكتابة واتجاه السطور فيها] و[الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: (ز) اللغات الحبشية وغيرها].  
الإدراك لِلسان الأتراك لأبي حيان الغرناطي [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-١) اللغات التركية: (أ) التركية العثمانية].  
سياحة في روسيا لرشاد بك [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-١) اللغات التركية: (و) التركية الداغستانية].  
الإلهامات القدسية في ألفبا اللغة الجركسية لمحمد كمال بك الجركسي [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-١) اللغات التركية: (ز) اللغة الجركسية].  
دائرة المعارف البريطانية Encyclopedia Britannica [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-١) اللغات التركية: (ل) التركية الكشغرية] و[الأديان ومحافظة الأمم على الخطوط].  
سر تطور الأمم للدكتور جوستاف لوبون [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٢) اللغات الهندية: (أ) اللغة الأوردية الهندستانية].  
جغرافية الهند وبرما وسيلان لبلاندفورد Blandford, Geography of India, Bourma and Ceylon [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣)

اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٢-٣) اللغات الهندية: (أ) اللغة الأوردية الهندستانية].

أجرومية بالمر في اللغة الهندستانية والفارسية العربية الهندستانية palmer, Simplified grammar of Hindustani, Persian and Arabic Hindustani. [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٢-٣) اللغات الهندية: (أ) اللغة الأوردية الهندستانية].

أمة الملايو لصالح جودت بك [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٢-٣) اللغات الهندية: (ز) الملاكية (الملقية)].

نزهة الألباب لمحمد أفندي حسني العامري [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٢-٣) اللغات الهندية: Javanese or Pegon (ح) اللسان الجاوي أو البيجون].

المركز الاقتصادي للإسلام للاشتيليه Le chatelier, la Position économique de L Islam [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٣) اللغات الفارسية أو الإيرانية: (أ) اللغة الفارسية الحديثة].

بيان عن حكم السلطان سنجر لشفر في المتفرقات الجديدة الشرقية Schefer, Tableau du règne du sultan Sindjar. [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٣) اللغات الفارسية أو الإيرانية: (أ) اللغة الفارسية الحديثة: تاريخ الخط الفارسي وفروعه].

الهدية الحميدية في نحو اللغة الكردية ليوسف ضياء الدين باشا الخالدي [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٣) اللغات الفارسية أو الإيرانية: (ج) اللغة الكردية].

التبيان في تخطيط البلدان للأستاذ إسماعيل رأفت بك [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: (أ) اللغة البربرية الشلحية].

قاموس الإسلام A Dictionary of Islam [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: (ب) اللغة البربرية أو القبائلية: تاريخ الخط المغربي وفروعه].

المقدمة لابن خلدون [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: Kabyli (ب) اللغة البربرية أو القبائلية : تاريخ الخط المغربي وفروعه].

بحث على الخط المغربي لهوداس في المتفرقات الجديدة الشرقية Houdas, Essai sur l'écriture Maghrebine dans les Nouveaux orientaux [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: Kabyli (ب) اللغة البربرية أو القبائلية : تاريخ الخط المغربي وفروعه].

دروس اللغة العربية لبرسنيه Bresnier, cours de langue arabe [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: Kabyli (ب) اللغة البربرية أو القبائلية : تاريخ الخط المغربي وفروعه].

تاريخ المقرئزي «الخطط» [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: Nubian (ج) اللغة النوبية].

المقتطف [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: Nubian (ج) اللغة النوبية].  
كتاب الإسلام للكونت هنري دي كاستري [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: Hausa (د) اللغة الحوسية].

مجلة القرن التاسع عشر (مقالة فيها للعلامة روبنسن) [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: Hausa (د) اللغة الحوسية].

الإسلام في مدغسكر لجبرائيل فراند [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: (و) اللغة الملجاشية].

سيرة رامينيا عن مخطوط عربي ملجاشي، ملحوظات على النسخ العربي الملجاشي لفراند Ferrand, la légende de Raminia d'après un manuscrit Arabico-Malgache, j. Asiat. 1902. Notes sur la transcription Arabico Malagache

[الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: (و) اللغة الملباشية].  
رحلة الحبش لصديق باشا المؤيد [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: (ز) اللغات الحبشية وغيرها].

لغات أفريقيا الحديثة للدكتور كوست R. N. cust, the Modern Languages of Africa ، [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: (ز) اللغات الحبشية وغيرها] و[الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: (ز) اللغات الحبشية وغيرها].

محاضرات الدكتور لتمان في علم مقارنة اللغات السامية [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: (ز) اللغات الحبشية وغيرها] و[الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٦) النتيجة].

معجم لغة هيرر للكابتين بورتن Burton [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٣) اللغات التي تُكْتَب الآن بالخط العربي: (٣-٤) اللغات الأفريقية: (ز) اللغات الحبشية وغيرها].

تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب للمرحوم روهي بك الخالدي [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٥) انتشار الخط العربي قديماً في أوروبا] و[الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٥) انتشار الخط العربي قديماً في أوروبا] و[الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٥) انتشار الخط العربي قديماً في أوروبا].

عجالة عن بعض المدائن في صقلية، مقالة للأستاذ أحمد زكي باشا في «المؤيد» [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٥) انتشار الخط العربي قديماً في أوروبا].

السِّيَاح المسلمون للأستاذ محمود بك سالم [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٥) انتشار الخط العربي قديماً في أوروبا].

## انتشار الخط العربي

مجموعة الخميادو نشرها بابلوجيل [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٦) النتيجة: (٦-١) الخط العربي واللغات الأوروبية].

Pablo gil, Collection de Textos Aljamidos.

تاريخ البرتقال في ملبار المسمى: «تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتكاليين» [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٦) النتيجة: (٦-١) الخط العربي واللغات الأوروبية].

أبحاث في تاريخ المورو وشريعتهم وديانتهم للدكتور صليبي N. M. Saleeby, Studies in Moro history, law, and religion [الخط العربي وانتشاره في العالم الشرقي والعالم الغربي: (٦) النتيجة: (٦-٢) الخط العربي ولغة الفيليبين].

طبقات الأطباء لأبن أبي أصيبعة [الأديان ومحافظة الأمم على الخطوط].  
أخبار الحكماء لابن القفطي [الأديان ومحافظة الأمم على الخطوط].

الطقس البيزنطي لشارون Charon, le Rite Byzantin [الأديان ومحافظة الأمم على الخطوط].

تاريخ المشرق لماسبيرو [الخطوط التي ورثها الخط العربي].

حضارة العرب للدكتور جوستاف لوبون [الخطوط التي ورثها الخط العربي].

Dr. Gustave Le Bon, La Civilisation des Arabes

هذه هي أهم الكتب التي اعتمدنا عليها في مباحث هذا الكتاب، وهي غير ما رجعنا إليه في التحقيق من الموسوعات العربية والإفرنجية والمجلات «كالهلال» و«المقتطف» و«المقتبس» وغيره.



| جدول سلة الخط العربي |                                                 |                                |                                |                                |                                |                                |
|----------------------|-------------------------------------------------|--------------------------------|--------------------------------|--------------------------------|--------------------------------|--------------------------------|
| شكل                  | عربي<br>مدرسي<br>عربي<br>مدرسي<br>عربي<br>مدرسي | عربي<br>مدرسي<br>عربي<br>مدرسي | عربي<br>مدرسي<br>عربي<br>مدرسي | عربي<br>مدرسي<br>عربي<br>مدرسي | عربي<br>مدرسي<br>عربي<br>مدرسي | عربي<br>مدرسي<br>عربي<br>مدرسي |
| ١                    | ا                                               | ب                              | ج                              | د                              | هـ                             | و                              |
| ٢                    | ز                                               | ح                              | ط                              | ي                              | ك                              | ل                              |
| ٣                    | م                                               | ن                              | س                              | ع                              | ف                              | ق                              |
| ٤                    | ص                                               | غ                              | ظ                              | ي                              | ك                              | ل                              |
| ٥                    | م                                               | ن                              | س                              | ع                              | ف                              | ق                              |
| ٦                    | ص                                               | غ                              | ظ                              | ي                              | ك                              | ل                              |
| ٧                    | م                                               | ن                              | س                              | ع                              | ف                              | ق                              |
| ٨                    | ص                                               | غ                              | ظ                              | ي                              | ك                              | ل                              |
| ٩                    | م                                               | ن                              | س                              | ع                              | ف                              | ق                              |
| ١٠                   | ص                                               | غ                              | ظ                              | ي                              | ك                              | ل                              |
| ١١                   | م                                               | ن                              | س                              | ع                              | ف                              | ق                              |
| ١٢                   | ص                                               | غ                              | ظ                              | ي                              | ك                              | ل                              |
| ١٣                   | م                                               | ن                              | س                              | ع                              | ف                              | ق                              |
| ١٤                   | ص                                               | غ                              | ظ                              | ي                              | ك                              | ل                              |
| ١٥                   | م                                               | ن                              | س                              | ع                              | ف                              | ق                              |
| ١٦                   | ص                                               | غ                              | ظ                              | ي                              | ك                              | ل                              |
| ١٧                   | م                                               | ن                              | س                              | ع                              | ف                              | ق                              |
| ١٨                   | ص                                               | غ                              | ظ                              | ي                              | ك                              | ل                              |
| ١٩                   | م                                               | ن                              | س                              | ع                              | ف                              | ق                              |
| ٢٠                   | ص                                               | غ                              | ظ                              | ي                              | ك                              | ل                              |

شکل ۳



